طبعة جديدة مشكولة بالكامل

تهذيب

بحر الدموع

كتبه

أبو معاوية حسام بن محمد بسراوي

قدم له

الشيخ

أبو حازم محمد بن حسني المصري

دار سبيل المؤمنين

للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



81 شارع الهدي المحمدي متفرع من شارع أحمد عرابي - مساكن عين شمس
القاهرة - جمهورية مصر العربية

الجوال : (002)01007610099 - (002)01140110099

البريد الإلكتروني :
dar_sabilelmomnen@yahoo.com
dar_sabilelmomnen@hotmail.com

للتواصل عبر الفايسبوك :
https://www.facebook.com/dar.sabilelmomnen

حسابنا على تويتر :
https://twitter.com/sabilelmomnen

مُقَدِّمَةُ الشَّيْخِ أَبِي حَازِمٍ - وَفَقَّهُ اللهُ-

الْحَمْدُ للهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَإِنَّ الْوَعْظَ لَهُ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الدِّينِ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ «مَوْعِظَةً»، وَهُوَ مَمْلُوءٌ بِآيَاتِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَأَلْوانِ الْوَعْظِ وَتَرْقِيقِ الْقُلُوبِ.

وَالْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَوْعِظَةِ؛ لِكَي يَرِقَّ قَلْبُهُ، وَيَزِيدَ إِيمَانُهُ، وَيُقْبِلَ عَلَى طَاعَةِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ ﷻ، وَيَبْتَعِدَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، فَتَأْثِيرُ الْوَعْظِ فِي ذَلِكَ لَا يُنكَرُ.

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الْوَعْظِ: الْعَلَّامَةُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي الْوَعْظِ.

وَمِنْ مُصَنَّفَاتِهِ: «بَحْرُ الدُّمُوعِ»، وَهُوَ كِتَابٌ مُؤَثِّرٌ طَيِّبٌ، لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي تَرْقِيقِ الْقَلْبِ.

وَقَدْ قَامَ عَلَى تَهْذِيبِهِ أَخِي وَصَاحِبِي حُسَامُ بْنُ بَسْرَاوِي -وَفَقَّهُ اللهُ-، فَخَلَّصَهُ مِمَّا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَاتٍ، وَعَمِلَ عَلَى تَقْدِيمِهِ بِصُورَةٍ تَلِيقُ بِطَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ وُفِّقَ فِي ذَلِكَ، وَخَرَجَ عَمَلُهُ بِالصُّورَةِ الطَّيِّبَةِ الْمَرْضِيَّةِ.

نَسَأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

مُقَدِّمَةُ تَهْذِيبِ الْكِتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ الْقَائِلِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَبَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ «**تَهْذِيبُ بَحْرِ الدُّمُوعِ**»، وَأَصْلُ الْكِتَابِ لِإِمَامِ الْوَعْظِ فِي زَمَانِهِ بِلَا مُدَافِعٍ «**أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْجَوْزِيِّ**» رَحِمَهُ اللهُ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٧ مِنَ الْهِجْرَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا التَّهْذِيبَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهِ. إِنَّهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ.

تَنْبِيهَاتٌ مُهِمَّةٌ حَتَّى يَتِمَّ النَّفْعُ بِكُتُبِ الْوَعْظِ إِنْ شَاءَ اللهُ:

١-الْوَعْظُ أَصْلُهُ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا كُتُبُ أَهْلِ الْعِلْمِ فَمُكَمِّلَةٌ لِذَلِكَ، فَلَا تَجْعَلْهَا هِيَ الْأَصْلَ.

٢-الْهَدَفُ الْأَسَاسُ مِنَ الْوَعْظِ، وَذِكْرِ حَالِ الصَّالِحِينَ هُوَ: التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ، وَالِازْدِيَادُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَلَا تَنْسَ هَذَا الْأَصْلَ أَيْضًا، وَلَا تَحِدْ عَنْهُ.

٣-عَلَيْكَ بِالتَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ لِمَا تَقْرَأُ أَوْ تَسْمَعُ، فَإِذَا وَجَدْتَ نَفْسَكَ قَدْ تَأَثَّرَتْ بِمَوْعِظَةٍ فَلَا تَتَجَاوَزْهَا، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ بِتَكْرَارِهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ؛ لِتُحَصِّلَ الْفَائِدَةَ الْمَرْجُوَّةَ بِإِذْنِ اللهِ.

٤-أَهَمُّ شَيْءٍ فِي التَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ أَنْ تَقُومَ مَبَاشَرَةً لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ بِدُونِ تَسْوِيفٍ أَوْ تَكَاسُلٍ، كَأَنْ تُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، أَوْ تَقْرَأَ فِي الْمُصْحَفِ، أَوْ تَسْتَغْفِرَ،

وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرُبَاتِ؛ لِأَنَّ الْحَالَةَ الْإِيمَانِيَّةَ الَّتِي وَصَلْتَ إِلَيْهَا -بِفَضْلِ اللهِ وَحْدَهُ- فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، قَدْ لَا تَأْتِيكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَانْتَهِزْهَا، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا هبَّتْ رياحُكَ فَاغْتَنِمْهَا فَإِنَّ لِكُلِّ عَاصِفَةٍ سُكُونُ

٥-الِاتِّعَاظُ بِالْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ يَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ لِآخَرَ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَهْتَمُّ بِهَا وَبِحِفْظِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ، فَأَقُولُ لِلصِّنْفِ الثَّانِي: لَكَ أَنْ تَتَجَاوَزَهَا أَوْ تَتَجَاوَزَ بَعْضَهَا بِدُونِ قِرَاءَةٍ؛ حَتَّى لَا تَخْرُجَ عَنِ الْحَالَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي تُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا.

عَمَلِي فِي الْكِتَابِ:

١-حَذْفُ الْمُخَالَفَاتِ الْعَقَدِيَّةِ كَمِثْلِ الْقَسَمِ وَالتَّوَسُّلِ بِحَقِّ النَّبِي ﷺ، وَبِحَقِّ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَكَذَا شَدُّ الرِّحَالِ لِزِيَارَةِ الْقُبُورِ أَوْ لِلِانْتِفَاعِ بِبَرَكَةِ مَنْ فِيهَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْمُخَالَفَاتُ مِنْ أَخْطَرِ مَا فِي كِتَابِ بَحْرِ الدُّمُوعِ؛ لِتَعَلُّقِهَا بِجَانِبِ الْعَقِيدَةِ.

٢-حَذْفُ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ وَالضَّعِيفَةِ، وَكَانَ الِاعْتِمَادُ فِي أَغْلَبِ ذَلِكَ عَلَى كُتُبِ الْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

٣-حَذْفُ الْقَصَصِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي تُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ، وَقَدْ أُبْقِي الْقِصَّةَ وَأَحْذِفُ الْمُخَالَفَاتِ الَّتِي فِيهَا.

٤-لَمْ أَحْذِفْ غَالِبَ الْإِسْرَائِلِيَّاتِ، وَخُصُوصًا الْمَأْثُورَةَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْأَئِمَّةَ الَّذِينَ أَلَّفُوا فِي الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ؛ كَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا -رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا- يَذْكُرُونَهَا فِي كُتُبِهِمْ.

٥-حَاوَلْتُ الْإِبْقَاءَ عَلَى أَلْفَاظِ الْمُصَنِّفِ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، وَقَدْ أَضَعُ بَيْنَ

مَعْقُوفَيْنِ [ ] تَصَرُّفِي فِي كَلَامِهِ، وَشَرَحْتُ بَعْضَ غَرِيبِ الْكَلِمَاتِ بَيْنَ قَوْسَيْنِ ( )؛ حِفَاظًا عَلَى الْحَالَةِ الْإِيمَانِيَةِ الَّتِي تَذْهَبُ بِكَثْرَةِ النَّظَرِ لِلْحَوَاشِي.

٦-اعْتَمَدْتُ فِي التَّهْذِيبِ عَلَى طَبْعَتِي دَارِ الْفَجْرِ وَدَارِ الصَّحَابَةِ بِمِصْرَ، وَبَعْدَ انْتِهَائِي مِنْ تَهْذِيبِ الْكِتَابِ وَقَفْتُ عَلَى طَبْعَةِ دَارِ ابْنِ حَزْمٍ بِبَيْرُوتَ -وَهِيَ مِنْ أَجْوَدِ الطَّبَعَاتِ فِيمَا أَعْلَمُ-، وَقَدْ نَبَّه فِيهَا الْمُحَقِّقُ -وَفَّقَهُ اللهُ- عَلَى الْمُخَالَفَاتِ الْعَقَدِيَّةِ، وَقَدْ فَاتَهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ: كَالتَّنْبِيهِ عَلَى مُصْطَلَحَاتِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ[1].

٧-تَحَقَّقَ -بِفَضْلِ اللهِ- مَا تَمَنَّيْتُهُ مِنْ تَشْكِيلِ حُرُوفِ الْكِتَابِ؛ حَتَّى تَتِمَّ الْفَائِدَةُ. جَزَى اللهُ خَيْرًا كُلَّ مَنْ سَاهَمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

٨-تَمَّ-بِفَضْلِ اللهِ-تَصْحِيحُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَخْطَاءٍ وَقَعَتْ فِي الطَّبْعَةِ السَّابِقَةِ.

٩-كَتَبْتُ عَنَاوِينَ عَلَى جَانِبَي الصَّفَحَاتِ، وَلَمْ أُدْخِلْهَا فِي صُلْبِ الْكِتَابِ، حَتَى لَا تَخْتَلِطَ بِكَلَامِ الْإِمَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ.

كَتَبَهُ

الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ

أَبُو مُعَاوِيَةَ حُسَامٌ الْبَسْرَاوِيُّ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيهِ

---

(١) وقد ذكر المُحقّقُ أنه واجهتْهُ صُعُوباتٌ كثيرةٌ في التحقيق ومنها: وُجُودُ الكثيرِ من الأخطاءِ اللُّغويةِ في الكتاب؛ لِمُلَاءَمَةِ السَّجْعِ بَيْنَ العِبارَاتِ.

مُقَدِّمَةُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي اخْترعَ الأشياءَ بلَطِيفِ لَطَائفِ قُدرتهِ، وبديعِ صَنْعتهِ، فأحسنَ فيمَا اخْترَعَ، وأبْدَعَ الموجوداتِ عَلَى غَيْرِ مثالٍ، فَلا شَرِيكَ لَهُ فِيمَا ابْتَدَع، وأشْهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لَا شريكَ لهُ، شهادةَ مَنْ أقرَّ لهُ بالوحدَانيَّةِ، واعْترفَ لَهُ بِالرُّبُوبيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ، ولِعزِّ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ قَدْ خَضعَ.

وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي سَنَّ السُّنَنَ، وَبَيَّنَ الْفَرَائِضَ، وَشَرَعَ الْأَعْيَادَ والجُمَعَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وأصْحَابِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

قَالَ اللهُ العَظِيمُ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥]، وَفِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي مَشْيًا، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[١]. الحث على ذكر الله

* إِخْوَانِي، إِذَا صَعِدَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، قَالَ الْمَوْلَى جَلَّ عُلَاهُ: يَا مَلَائِكَتِي أَيْنَ كُنْتُمْ؟ -وَهُوَ أَعْلَمُ-، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَنْتَ أَعْلَمُ، كُنَّا عِنْدَ عِبَادِكَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُقدِّسُونَكَ وَيُعَظِّمُونَكَ ويُمجِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ وَيَسْتَغْفِرُونَكَ وَيَسْتَعِيذُونَكَ، فَيَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي، وَمَا الَّذِي طَلَبُوا؟ وَمِمَّ اسْتَعَاذُوا؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَنْتَ أَعْلَمُ، طَلَبُوا الْجَنَّةَ، وَاسْتَعَاذُوا مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي، اشْهَدُوا

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ مَا طَلَبُوا، وَأَمَّنْتُهُمْ مِمَّا خَافُوا، وَأَدْخَلْتُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي[١].

* وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَجْبَرَكَ تَسْأَلُنِي فَأَمْنَعَكَ؛ لِعِلْمِي بِمَا يُصْلِحُكَ، ثُمَّ تُلِحُّ عَلَيَّ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَأَجُودُ بِرَحْمَتِي وَكَرَمِي عَلَيْكَ، فَأُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنِي، فَتَسْتَعِينُ بِمَا أُعْطِيكَ عَلَى مَعْصِيَتِي، فَأَهُمُّ بِهَتْكِ سِتْرِكَ، فَكَمْ مِنْ جَمِيلٍ أَصْنَعُهُ مَعَكَ، وَكَمْ مِنْ قَبِيحٍ تَعْمَلُهُ مَعِي. يُوشِكُ أَنْ أَغْضَبَ عَلَيْكَ غَضْبَةً لَا أَرْضَى بَعْدَهَا أَبَدًا.

التحذير من العصيان

* وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ أَيْضًا: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

عَبْدِي، إِلَى كَمْ تَسْتَمِرُّ عَلَى عِصْيَانِي، وَأَنَا غَذَيْتُكَ بِرِزْقِي وَإِحْسَانِي، أَمَا عَلِمْتَ فِعْلِي بِمَنْ أَطَاعَنِي، وَأَخْذِي لِمَنْ عَصَانِي؟

أَمَا تَسْتَحِي: تَذْكُرُنِي فِي الشَّدَائِدِ وَفِي الرَّخَاءِ تَنْسَانِي؟ عَيْنُ بَصِيرَتِكَ أَعْمَاهَا الْهَوَى. قُلْ لِي بِمَاذَا تَرَانِي؟ هَذَا حَالُ مَنْ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ، فَإِلَى كَمْ هَذَا التَّوَانِي؟

إِنْ تُبْتَ مِنْ ذَنْبِكَ، آتَيْتُكَ أَمَانِيَ. اتْرُكْ دَارًا صَفْوها كَدَرٌ، وآمَالُها أَمَانِي. بِعْتَ وَصْلِي بالدُّونِ، وَلَيْسَ لِي فِي الْوُجُودِ ثَانِي[٢].

مَا جَوَابُكَ إِذَا شَهِدَتْ عَلَيْكَ الْجَوَارِحُ بِمَا تَسْمَعُ وَتَرَى؟! ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

* وَأَنْشَدُوا:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩). [ليس بالسياق الذي ذكره المؤلف].

(٢) كلمة (ثاني) مكتوبة بالياء مراعاة للسجع، والصحيح أن تُكتب بدون الياء.

لَـوْ كَـانَ حبُّـكَ صَـادِقًا لَأَطَعْتَـهُ ... إِنَّ المُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ مُطِيـعُ

مالك بن دينار وجاره

* قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينارٍ: دَخَلْتُ عَلَى جَارٍ لِي وَهُوَ في الغَمَرَاتِ يُعَانِي عَظِيمَ السَّكَرَاتِ، يُغْمَى عَلَيْهِ مَرَّةً، وَيُفِيقُ أُخْرَى، وَفِي قَلْبِهِ لَهِيبُ الزَّفَرَاتِ، وَكَانَ مُنْهَمِكًا فِي دُنْيَاهُ، مُتخلِّفًا عَنْ طَاعَةِ مَوْلاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي، تُبْ إِلَى اللهِ، وَارْجِعْ عَنْ غَيِّكَ، عَسَى الْمَوْلَى أَنْ يَشْفِيَكَ مِنْ أَلَمِكَ، وَيُعَافِيَكَ مِنْ مَرَضِكَ وَسَقَمِكَ، وَيَتَجَاوَزَ بِكَرَمِهِ عَنْ ذَنْبِكَ. فَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ دَنَا مَا هُوَ آتٍ، وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ، فَيَا أَسَفِي عَلَى عُمُرٍ أَفْنَيْتُهُ فِي الْبَطَالَةِ. أَرَدْتُ أَنْ أَتُوبَ مِمَّا جَنَيْتُ، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتِفُ مِنْ زَاوِيَةِ الْبَيْتِ: **عَاهَدْنَاكَ مِرَارًا فَوَجَدْنَاكَ غَدَّارًا**.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَقَادِمَةِ.

موعظة

* يَا أَخِي، أَقْبِلْ عَلَى قِبْلَةِ التَّوجُّهِ إِلَى مَوْلَاكَ، وَأَعْرِضْ عَنْ مُواصَلَةِ غَيِّكَ وَهَوَاكَ، وَوَاصِلْ بَقِيَّةَ الْعُمُرِ بِوَظَائِفِ الطَّاعَاتِ، وَاصْبِرْ عَلَى تَرْكِ عَاجِلِ الشَّهَوَاتِ، فَالْفِرَارَ أَيُّهَا الْمُكلَّفُ كُلَّ الفِرَارِ مِنْ مُواصَلَةِ الْجَرَائِمِ وَالْأَوْزَارِ، **فَالصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَةِ فِي الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى النَّارِ**.

* وَأَنْشَدُوا:

أَمَـولَايَ إِنِّـي عَبْـدٌ ضَـعِيفٌ ... أَتَيْتُـكَ أَرْغَـبُ فِيمَـا لَـدَيْكْ

أَتَيْتُـكَ أَشْـكُو مُصَـابَ الـذُّنُوبِ ... وَهَـلْ يُشْـتَكَى الضُّـرَّ إِلَّا إِلَيْـكْ

فَمُـنَّ بِعَفْـوِكَ يَـا سَـيِّدِي ... فَلَـيْسَ اعْتِمَـادِي إِلَّا عَلَيْـكْ

أنت الرحيم وأنا الجاني

* قَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الْأَخْيَارِ لِوَلَدِهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: يَا بُنَيَّ، اسْمَعْ وَصِيَّتِي، وَاعْمَلْ مَا أُوصِيكَ بِهِ. قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَتِ. قَالَ: يَا بُنيَّ، اجْعَلْ فِي عُنُقِي حَبْلاً، وجُرَّنِي إِلَى مِحْرَابِي، ومَرِّغْ خَدِّيَ عَلَى التُّرَابِ، وَقُلْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى

مَوْلَاهُ، وآثَرَ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ، وَنَامَ عَنْ خِدْمَةِ مَوْلَاهُ.

قَالَ: فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ، رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، قَدْ آنَ الرَّحِيلُ إِلَيْكَ، وَأَزِفَ الْقُدُومُ عَلَيْكَ، وَلَا عُذْرَ لِي بَيْنَ يَدَيْكَ، غَيْرُ **أَنَّكَ الْغَفُورُ وَأَنَا الْعَاصِي، وَأَنْتَ الرَّحِيمُ وَأَنَا الْجَانِي، وَأَنْتَ السَّيِّدُ وَأَنَا الْعَبْدُ، ارْحَمْ خُضُوعِي وَذِلَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوةَ إِلَّا بِكَ.**

قَالَ: فخَرجَتْ رُوحُهُ فِي الْحَالِ، فَإِذَا بِصَوْتٍ يُنَادِي مِنْ زَاوِيَةِ الْبَيْتِ سَمِعَهُ كُلُّ مَنْ حَضَرَ وَهُوَ يَقُولُ: تَذَلَّلَ الْعَبْدُ لِمَوْلَاهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا جَنَاهُ، فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، وَجَعَلَ جَنَّةَ الْخُلْدِ مَأْوَاهُ.

موعظة

* إِخْوَانِي، هَذَا القَبُولُ يُنَادِي صِبْيَانَ الْهَوَى: الشَّابُ التَّائِبُ حَبِيبُ اللهِ، وَيَصِيحُ بِكُهُولِ الخَطَا: عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَيَهْتِفُ بِشُيُوخِ النَّدَمِ: أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي.

* وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بِعَيْنِي مَا يَتَحَمَّلُ الْمُتَحَمِّلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَكَابَدَ الْمُكَابِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِي، فَكَيْفَ بِهِمْ وَقَدْ صَارُوا إِلَى جِوَارِي، وبُحْبِحُوا فِي رِيَاضِ خُلْدِي هُنَالِكَ، فَلْيُبَشَّرُ الْمُصْغُونَ بِأَعْمَالِهِمْ بِالنَّظَرِ الْعَجِيبِ إِلَى الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ. أَتَرَوْنَ أَنِّي أُضِيعُ لَهُمْ مَا عَمِلُوا؟! كَيْفَ وَأَنَا أَجُودُ عَلَى الْمُوَلِّينَ، وأَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَلَى الْخَاطِئِينَ، وَأَنَا بِهِمْ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؟!

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

موعظة

* يَا أَسِيرَ دُنْيَاهُ، يَا عَبْدَ هَوَاهُ، يَا مَوْطِنَ الْخَطَايَا، وَيَا مُسْتَودَعَ الرَّزَايَا، اذْكُرْ مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ، وَكُنْ خَائِفًا مِنْ سَيِّدَكَ وَمَوْلَاكَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى بَاطِنِ زَلَلِكَ وَجَفَاكَ، فَيَصُدَّكَ عَنْ بَابِهِ، وَيُبْعِدَكَ عَنْ جَنَابِهِ، وَيَمْنَعَكَ عَنْ مُرَافَقَةِ أَحْبَابِهِ، فَتَقَعُ فِي حَضْرَةِ الْخُذْلَانِ، وَتَتَقَيَّدُ بِشَرَكِ الْخُسْرَانِ.

* يَا مَنْ بَاعَ الْبَاقِي بِالْفَانِي، أَمَا ظَهَرَ لَكَ الْخُسْرانُ؟! مَا أَطْيَبَ أَيَّامَ الوِصَالِ، وَمَا أَمَرَّ أَيَّامَ الْهِجْرَانِ، مَا طَابَ عَيْشُ الْقَوْمِ حَتَّى هَجَرُوا الْأَوْطَانَ، وَسَهِرُوا اللَّيَالِيَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَيَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيامًا.

بَشِّرِ الْمُذنِبِينَ وَأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ

* وفِي الخبر: «أَوْحَى اللهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاوُدُ، بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ، وَأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ، فَتَعَجَّبَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، فَكَيْفَ أُبَشِّرُ الْمُذْنِبِينَ وَأُنْذِرُ الصِّدِيقِينَ؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا دَاوُدُ، بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ أَلَّا يَتَعَاظَمَنِي ذَنْبٌ أَغْفِرُهُ، وَأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ أَلَّا يُعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنِّي لَا أَضَعُ حِسَابِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا هَلَكَ.

يَا دَاوُدُ، إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تُحِبُّنِي فَأَخرِجْ حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ، فَإِنَّ حُبِّي وَحُبَّهَا لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ.

يَا دَاوُدُ، مَنْ أَحَبَّنِي يَتَهَجَّدُ بَيْنَ يَدِي إِذَا نَامَ الْبَطَّالُونَ، وَيَذْكُرُنِي فِي خَلْوَتِهِ إِذَا لَهَا عَنْ ذِكْرِي الْغَافِلُونَ، وَيَشْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْهِ إِذَا غَفَلَ عَنِّي السَّاهُونَ».

* وَأَنْشَدُوا:

طُوبَى لِمَنْ سَهِرَتْ بِاللَّيْلِ عَيْنَاهُ ... وَبَاتَ فِي قَلَقٍ مِنْ حُبِّ مَوْلَاه

وَقَامَ يَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا ... شَوْقًا إِلَيْهِ وَعَيْنُ اللهِ تَرْعَاه

يَا هَذَا، أَتَدْرِي مَا صَنَعْتَ؟! بِعْتَ الْقُرْبَ بالبُعْدِ، وَالْعَقْلَ بِالْهَوَى، وَالدِّينَ بِالدُّنْيَا.

* وَأَنْشَدُوا:

قُـــمْ فَـــارْثِ نَفْسَـــكَ وَابْكِهَـــا ... مَـــا دُمْـــتَ وَابْـــكِ علَـــى مَهَـــلْ

فَـــإِذَا اتَّقَـــى اللهَ الْفَتَـــى ... فِيمَـــا يُرِيـــدُ فَقَـــدْ كَمَـــلْ

وقال آخر:

نَـــزِّهْ مَشِـــيبَكَ عَـــنْ شَـــيءٍ يُدنِّسُـــهُ ... إِنَّ الْبِيَـــاضَ قَلِيـــلُ الْحَمْـــلِ لِلْـــدَّنَسِ

* يا عَبْدَ السُّوءِ، كَمْ تَعْصِي ونَسْتُرُ، كَمْ تَكْسِرُ بَابَ نَهْيِي وَنَجبُرُ، كَـمْ نَسْتَقْطِرُ مِنْ عَيْنَيْكَ دُمُوعَ الْخَشْيَةِ وَلَا يَقْطُرُ، كَـمْ نَطْلُبُ وَصْلَكَ بالطَّاعَةِ، وَأَنْتَ تَفِرُّ وَتَهْجُرُ، كَمْ لِي عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ، وَأَنْتَ بَعْدُ لَا تَشْكُرُ. خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا، وَأَعْمَالُ الْهَوَى، وَأَنْتَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ. سَخَّرْتُ لَكَ الْأَكْوَانَ، وَأَنْتَ تطْغَى وَتَكْفُرُ، وَتَطْلُبُ الْإِقَامَةَ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ قَنْطَرَةٌ لِمَنْ يَعْبُرُ.

* ورُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ الْمَجُوسِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَكَانَ حَسَنَ الْجِوارِ، حَسَنَ السِّيرَةِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، فَرَجَوْتُ أَنَّ اللهَ يُوفِّقَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَيُمِيتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ،

مجوسي أدركته رحمة الله فأسلم

فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَجِدُ؟ وَكَيْفَ حَالُكَ؟ فَقَالَ: لِي قَلْبٌ عَلِيلٌ وَلَا صِحَّةَ لِي، وَبَدَنٌ سَقِيمٌ وَلَا قُوَّةَ لِي، وَقَبْرٌ مُوحِشٌ وَلَا أَنِيسَ لِي، وَسَفَرٌ بَعِيدٌ وَلَا زَادَ لِي، وَصِراطٌ دَقِيقٌ وَلَا جوازَ لِي، وَنَارٌ حَامِيةٌ وَلَا بَدَنَ لِي، وَجَنَّةٌ عَالِيةٌ وَلَا نَصِيبَ لِي، وَرَبٌّ عَادِلٌ وَلَا حُجَّةَ لِي.

قَالَ الْحَسَنُ: فَرَجَوْتُ اللهَ أنْ يُوَفِّقَهُ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: لِمَ لَا تُسْلِمُ حَتَّى تَسْلَمَ؟ قَالَ: إنَّ الْمِفْتَاحَ بِيَدِ الفَتَّاحِ، وَالقُفْلُ هُنَا، وأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ، وغُشِي عَلَيْهِ.

قَالَ الْحَسَنُ: فَقُلْتُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، إِنْ كَانَ سَبَقَ لِهَذَا الْمَجُوسِي عِنْدَكَ حَسَنَةٌ فَعَجِّلْ بِهَا إِلَيْهِ قَبْلَ فِرَاقِ رُوحِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ.

فَأَفَاقَ مِنْ غَشْيَتِهِ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَقَالَ: يَا شَيْخُ، **إِنَّ الْفَتَّاحَ أَرْسَلَ الْمِفْتَاحَ. امْدُدْ يُمْنَاكَ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ،** ثُمَّ خَرَجَتْ رُوحُهُ وَصَارَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ.

❋ وَأَنْشَدُوا:

يَا ثِقَتِي يَا أَمَلِي أَنْتَ الرَّجَا أَنْتَ الْوَلِي
اخْتِمْ بِخَيْرٍ عَمَلِي وَحَقِّقِ التَّوْبَةَ لِي
قَبْلَ حُلُولِ أَجَلِي وَكُنْ لِي يَا رَبِّ وَلِي

التحذير من الغفلة

❋ إِخْوَانِي، مَا هَذِهِ السِّنَةُ وَأَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ؟ وَمَا هَذِهِ الْحِيرَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ؟ وَمَا هَذِهِ الْغَفْلَةُ وَأَنْتُمْ حَاضِرُونَ؟ وَمَا هَذِهِ السَّكْرَةُ وَأَنْتُمْ صَاحُونَ؟ وَمَا هَذَا السُّكُونُ وَأَنْتُمْ مُطَالَبُونَ؟ وَمَا هَذِهِ الْإِقَامَةُ وَأَنْتُمْ رَاحِلُونَ؟ أَمَا آنَ لِأَهْلِ الرَّقْدَةِ أَنْ يَسْتَيْقِظُوا؟ أَمَا حَانَ لِأَبْنَاءِ الْغَفْلَةِ أَنْ يَتَّعِظُوا؟.

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ، فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مَا يُخَلِّصُهَا يَوْمَ الْبَعْثِ مِنْ سَقَرٍ.

آنَ الرَّحِيلُ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مَا قَدْ تَرَى يُغْنِي عَنِ الْحَذَرِ
لَا تَغْتَرِرْ بِالْيَوْمِ أَوْ بِغَدِ فَلَرُبَّ مَغْرُورٍ عَلَى خَطَرِ

❋ قال الجُنَيْدُ: كَانَ سَرِيٌّ السَّقَطِي مُتَّصِلَ الشُّغْلِ، وَكَانَ إِذَا فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْ وِرْدِهِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُعِيدَهُ.

❋ وَكَذَلِكَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَقْتٌ يَنَامُ فِيهِ، فَكَانَ يَنْعَسُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَنَامُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَنَامُ؟! إِنْ نِمْتُ بِالنَّهَارِ، ضَيَّعْتُ حُقُوقَ النَّاسِ، وَإِنْ نِمْتُ بِاللَّيْلِ ضَيَّعْتُ حَظِّي مِنَ اللهِ.

متى بكيت من خشية الله؟

* قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّيْدَلَانِيُّ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَمَّارٍ يَقُولُ: رَأَيْتُ أَبِي فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الرَّبَّ قَرَّبَنِي وَأَدْنَانِي، وَقَالَ لِي: يَا شَيْخَ السُّوءِ، أَتَدْرِي لِمَ غَفَرْتُ لَكَ؟ فَقُلْتُ: لَا يَا إِلَهِي. قَالَ: إِنَّكَ جَلَسْتَ لِلْنَاسِ يَوْمًا مَجْلِسًا فَأَبْكَيْتَهُمْ، فَبَكَى فِيهِمْ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي لَمْ يَبْكِ مِنْ خَشْيَتِي قَطُّ، فَغَفَرْتُ لَهُ، وَوَهَبْتُ أَهْلَ الْمَجْلِسِ كُلَّهُمْ لَهُ، وَوَهَبْتُكَ فِيمَنْ وَهَبْتُ لَهُ.

* عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّفَّارِ، قَالَ: حَضَرْتُ أَسْوَدَ بْنَ سَالِمٍ لَيْلَةً وَهُوَ يَقُولُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَيُكَرِّرُهُمَا وَيَبْكِي:

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي ... يُسَائِلُنِي وَيَنْكَشِفُ الغِطَا
وَحَسْبِي أَنْ أَمُرَّ عَلَى صِرَاطٍ ... كَحَدِّ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَى

قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً، وَلَمْ يَزَلْ مُغْمًى عَلَيْهِ حَتى أَصْبَحَ.

* وَكَذَلِكَ يُرْوَى عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا فِي بَعْضِ رِحَابِهِ شَابٌّ قَدْ خَرَّ سَاجِدًا وَهُوَ يَخُورُ بِالْبُكَاءِ، فَلَمْ أَشُكَّ أَنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى؟ فَقَرُبْتُ مِنْهُ لِأَسْمَعَ مَا يَقُولُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ أَبْيَاتًا:

عَلَيْكَ يَا ذَا الْجَلَالِ مُعْتَمَدِي ... طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ
طُوبَى لِمَنْ بَاتَ خَائِفًا وَجِلًا ... يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلْوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ ... أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ مُبْتَهِلاً ... أَجَابَهُ اللهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
ومَنْ يَنَلْ ذَا مِنَ الإِلَهِ فَقَدْ ... فَازَ بِقُرْبٍ تَقَرُّ عَيْنَاهُ

فَبَقِيَ يُكَرِّرُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَيَبْكِي، وَأَنَا أَبْكِي رَحْمَةً لِبُكَائِهِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي

* إِخْوَانِي، إِلَى كَمْ تُمَاطِلُونَ بِالْعَمَلِ، وَتَطْمَعُونَ فِي بُلُوغِ الْأَمَلِ، وَتَغْتَرُّونَ بِفُسْحَة المَهَلِ، وَلَا تَذْكُرُونَ هُجُومَ الْأَجَلِ؟ مَا وَلَدْتُمْ فَلِلْتُرابِ، وَمَا بَنَيْتُمْ فَلِلْخَرَابُ، وَمَا جَمَعْتُمْ فَلِلْذَهَابِ، وَمَا عَمِلْتُمْ فَفِي كِتابٍ مُدَّخَرٍ لِيَوْمِ الْحِسَابِ.

* وَأَنْشَدُوا:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا ... لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيّ

وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا ... وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيّ

موعظة عمر بن الخطاب

* يُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَغُرَّنَّكُمْ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً، فَإِنَّهَا تَتْبَعُهَا [عِدَّةُ] خِصَالٍ مَذْمُومَةٍ:

أَوَّلُها: إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْبًا، فَقَدْ أَسْخَطَ اللهَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ فَرَّحَ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ.

والثَّالِثَةُ: أَنَّهُ تَبَاعَدَ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَالرَّابِعَةُ: أَنَّهُ تَقَرَّبَ مِنَ النَّارِ.

وَالْخَامِسَةُ: أَنَّهُ قَدْ آذَى أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ، وَهِيَ نَفْسُهُ.

وَالسَّادِسَةُ: أَنَّهُ قَدْ آذَى الْحَفَظَةَ.

والسَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ بِالْعِصْيَانِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

* أَيُّهَا المُقِيمُ عَلَى الْخَطَايَا وَالْعِصْيَانِ، التَّارِكُ لِمَا أَمَرَكَ الرَّحْمَنُ، الْمُطِيعُ لِلْغَوِيِّ الْفَتَّانِ، إِلَى مَتَى أَنْتَ عَلَى جُرْمِكَ مُصِرٌّ، ومِمَّا يُقَرِّبُكَ إِلَى مَوْلَاكَ تَفِرُّ؟ تَطْلُبُ مِنَ الدُّنْيَا مَا لَا تُدْرِكُهُ، وتَتَّقِي مِنَ الْآخِرَةِ بِمَا لَا تَمْلِكُهُ، لَا أَنْتَ بِمَا قَسَمَ اللهُ مِنَ الرِّزْقِ وَاثِقٌ، وَلَا أَنْتَ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ لَاحِقٌ.

أمَا تنتفع بالموعظة

* يَا أَخِي، الْمَوْعِظَةُ -وَاللهِ- لَا تَنْفَعُكَ، والْحَوَادِثُ لَا تَرْدَعُكَ. لَا الدَّهْرُ يَدَعُكَ، وَلَا دَاعِي الْمَوْتِ يُسمِعُكَ، كَأَنَّكَ يَا مِسْكِينُ لَمْ تَزَلْ حَيًّا مُوجُودًا، وَكَأَنَّكَ لَا تَعُودُ نَسْيًا مَفْقُودًا.

* فَازَ -وَاللهِ- المُخِفُّونَ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَسَلِمَ الْمُتَّقُونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى كَسْبِ الْجَرَائِمِ وَالْأَوْزَارِ.

* وَأَنْشَدُوا:

عِيلَ صَبْرِي وَحُقَّ لِي أنْ أَنُوحَا ... لَمْ تَدَعْ لِيَ الذُّنُوبُ قَلْبًا صَحِيحَا

أَخْلَقَتْ مُهْجَتِي أَكُفُّ الْمَعَاصِي ... ونَعَانِي الْمَشِيبُ نَعْيًا صَرِيحَا

كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ بَرِي جُرْحُ قَلْبِي ... عَادَ قَلْبِي مِنَ الذُّنُوبِ جَرِيحَا

إِنَّمَا الْفَوْزُ وَالنَّعِيمُ لِعَبْدٍ ... جَاءَ فِي الْحَشْرِ آمِنًا مُسْتَرِيحَا

* إِخْوَانِي، اُرْفُضُوا هَذِهِ الدُّنْيَا كَمَا رَفَضَهَا الصَّالِحُونَ، وأَعِدُّوا الزَّادَ لِنُقْلَةٍ لا بُدَّ لَهَا أَنْ تَكُونَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا تَدُورُ بِهِ عَلَيْكُمْ الْأَيَّامُ وَالسُّنُونُ.

يَا مَنْ غَدَا فِي الْغَيِّ وَالتِّيهِ ... وغَرَّهُ طُولُ تَمَادِيهِ

أَمْلَى لَكَ اللهُ فَبَارَزْتَهُ ... وَلَمْ تَخَفْ غِبَّ مَعَاصِيهِ

* قَالَ الْجُنَيْدُ: مَرِضَ السَّرِيُّ السَّقْطِيُّ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَعُودُهُ، وَأَخَذْتُ

الْمِرْوَحَةَ لِأُرَوِّحَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: كَيْفَ يَجِدُ رِيحَ الْمِرْوَحَةِ مَنْ جَوْفُهُ يَحْتَرِقُ مِنْ دَاخِلٍ؟ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

القَلْبُ مُحْتَرِقٌ وَالدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ ... وَالْكَرْبُ مُجْتَمِع والصَّبرُ مُفترقُ
كَيْفَ القَرَارُ عَلَى مَنْ لا قَرَارَ لَهُ ... مِمَّا جَنَاهُ الْهَوى وَالشَّوْقُ وَالقَلَقُ
يَا ربِّ إِنْ كَانَ شَيءٌ فِيهِ لِي فَرَجٌ ... فَامْنُنْ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ بِي رَمَقُ

موعظة الشافعي عند موته

* ويُروى عَنِ المُزَني قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عِلَّتِهِ الَّتي مَاتَ مِنْهَا، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَصبحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ عَنِ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَلِلإِخْوانِ مُفَارِقًا، وَلِكَأسِ المَنيَّةِ (أَيْ الْمَوْت) شَاربًا، وَلِسُوءِ عَمْلِي مُلاقِيًا، وَعَلَى اللهِ وَارِدًا، فَلَا أَدْرِي: أَرُوحِي تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ فَأُهَنِّيهَا، أَمْ إِلَى النَّارِ فَأُعَزِّيهَا؟ ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَنْجُ مِنْ إِبْلِيسَ عَابِدٌ ... وَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا

* إِخْوَانِي: بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَاقْتَفُوا آثَارَ التَّوَّابِينَ، وَاسْلُكُوا مَسَالِكَ الأَوَّابِينَ، الَّذِينَ نَالُوا التَّوْبَةَ وَالْغُفْرَانَ، وَأَتْعَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي قَائِمِينَ، وَلِكِتَابِ رَبِّهِمْ تَالِينَ، بِنُفُوسٍ خَائِفَةٍ، وَقُلُوبٍ وَاجِفَةٍ.

* وَأَنْشَدُوا:

أَلَا قِفْ بِبَابِي عِنْدَ قَرْعِ النَّوَائِبِ ... وَثِقْ بِي تَجِدْنِي خَيْرَ خِلٍّ وَصَاحِبِ
وَلَا تَلْتَفِتْ غَيْرِي فَتُصْبِحَ نَادِمًا ... وَمَنْ يَلْتَفِتْ غَيْرِي يَعِشْ خَائِبِ

كيف أسلم معروف الكرخي وأسرته؟

❊ كَانَ أَبُو مَحْفُوظٍ مَعْروفٌ الكَرْخِيُّ قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِالْاجْتِبَاءِ فِي حَالِ الصِّبَا، يُذْكَرُ أَنَّ أَخَاهُ عِيسَى قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَخِي مَعْرُوفٌ فِي الْمَكْتَبِ، وَكُنَّا نَصَارَى، وَكَانَ المُعلِّمُ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ: «أَبٌ» و«ابْنٌ» فَيَصِيحُ أَخِي مَعْرُوفٌ: «أَحَدٌ أَحَدٌ» فَيَضْرِبُهُ الْمُعَلِّمُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبًا شَدِيدًا، حَتَّى ضَرَبَهُ يَوْمًا ضَرْبًا عَظِيمًا، فَهَرَبَ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَبْكِي وَتَقُولُ: لَئِنْ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ مَعْرُوفًا؛ لَأَتَّبِعَنَّهُ عَلَى أَيِّ دِينٍ كَانَ، فَقَدِمَ عَلَيْهَا مَعْرُوفٌ بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا بُنَيَّ، عَلَى أَيِّ دِينٍ أَنْتَ؟ قَالَ: عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَأَسْلَمَتْ أُمِّي وأَسْلَمْنَا كُلُّنَا.

الفَصْلُ الرّابِعُ

* يَا إِخْوَانَ الْغَفْلَةِ، تَيَقَّظُوا، يَا مُقِيمِينَ عَلَى الذُّنُوبِ، انْتَهُوا وَاتَّعِظُوا، فَبِاللهِ أَخْبِرُونِي مَنْ أَسْوَأُ حَالًا مِمَّنِ اسْتَعْبَدَهُ هَوَاهُ؟ أَمْ مَنْ أَخْسَرُ صَفْقَةً مِمَّنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ؟ فَمَا لِلْغَفْلَةِ قَدْ شَمِلَتْ قُلُوبَكُمْ؟ وَمَا لِلْجَهَالَةِ قَدْ سَتَرَتْ عَنْكُمْ عُيُوبَكُمْ؟ أَمَا تَرَوْنَ صَوَارِمَ الْمَوْتِ بَيْنَكُمْ لَامِعَةً، وَقَوَارِعَهُ بِكُمْ وَاقِعَةً، وَطَلَائِعَهُ عَلَيْكُمْ طَالِعَةً، وَفَجَائِعَهُ لِعُذْرِكُمْ قَاطِعَةً، وَسِهَامَهُ فِيكُمْ نَافِذَةً، وَأَحْكَامَهُ بِنَوَاصِيكُمْ آخِذَةً؟!

فَحَتَّامَ وإِلَامَ وعَلَامَ التَّخَلُّفُ وَالْمَقَامُ؟ أَتَطْمَعُونَ فِي بَقَاءِ الْأَبَدِ؟ كَلَّا وَالْوَاحِدِ الصَّمَدِ، إِنَّ الْمَوْتَ لَبِالْرَّصْدِ، وَلَا يَبْقَي عَلَى وَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ، فَجُدُّوا رَحِمَكُمُ اللهُ، فِي خِدْمَةِ مَوْلَاكُمْ، وَأَقْلِعُوا عَنِ الذُّنُوبِ، فَلَعَلَّهُ يَتَوَلَّاكُمْ.

* يُرْوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قُدَامَةَ قَالَ: لَقِي بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَجُلًا سَكْرَانَ، فَجَعَلَ السَّكْرَانُ يُقَبِّلُهُ، وَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي أَبَا نَصْرٍ، وَلَا يَدْفَعُهُ بِشْرٌ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَمَّا تَوَلَّى تَغَرْغَرَتْ عَيْنَا بِشْرٍ بِالدُّمُوعِ، وَقَالَ: رَجُلٌ أَحَبَّ رَجُلًا عَلَى خَيْرٍ تَوَهَّمَهُ فِيهِ، وَلَعَلَّ المُحِبَّ قَدْ نَجَا، وَالْمَحْبُوبُ لَا يَدْرِي مَا حَالُهُ. (موعظة بشر بن الحارث)

فَوَقَفَ عَلَى أَصْحَابِ الْفَاكِهَةِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا نَصْرٍ، لَعَلَّكَ تَشْتَهِي مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ قَالَ: لَا؛ وَلَكِنْ نَظَرْتُ فِي هَذَا؛ **إِذَا كَانَ يُطْعِمُ هَذَا لِمَنْ يَعْصِيهِ، فَكَيْفَ مَنْ يُطِيعُهُ؟ مَاذَا يُطْعِمُهُ فِي الْجَنَّةِ وَيَسْقِيهِ؟!**

* إِخْوَانِي، مَا لِلْغَافِلِ إِلَى كَمْ يُلَامُ؟ أَمَا تُوقِظُهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ؟ أَيْنَ سُكَّانُ الْقُصُورِ وَالْخِيَامُ؟ دَارَ -وَاللهِ- عَلَيْهِمْ كَأْسُ الْحِمَامِ (أَيْ: الْمَوْتِ)، فَالْتَقَطَهُمْ الْمَوْتُ كَمَا يُلْتَقَطُ الْحَبَّ الْحَمَامُ. مَا لِمَخْلُوقٍ فِيهَا دَوَامٌ، طُوِيتِ الصُّحُفُ وجَفَّتِ الْأَقْلَامُ.

* وَأَنْشَدُوا:

دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنُوحُ وَأَنْدِبُ بِدَمْعٍ غَزِيرٍ وَاكِفٍ يَتَصَبَّبُ
دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنُوحُ لِأَنَّنِي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الضَّعِيفَةِ تُعْطَبُ
فَمَنْ لِي إِذَا نَادَى الْمُنَادِي بِمَنْ عَصَا إِلَى أَيْنَ أَلْجَأُ أَمْ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ
فَيَا طُولُ حُزْنِي ثُمَّ يَا طُولُ حَسْرَتِي إِذَا كُنْتُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ أُعَذَّبُ
وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الْقَبَائِحُ كُلُّهَا وَقَدْ قُرِّبَ الْمِيزَانُ وَالنَّارُ تَلَهَّبُ
وَلَكِنَّنِي أَرْجُو الْإِلَهَ لَعَلَّهُ بِحُسْنِ رَجَائِي فِيهِ لِي يَتَوَهَّبُ
ويُدْخِلُنِي دَارَ الْجِنَانِ بِفَضْلِهِ فَلَا عَمَلٌ أَرْجُو بِهِ أَتَقَرَّبُ
سِوَى حُبِّ طَهَ(١) الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ مَنْ قَدْ تَرَهَّبُوا(٢)

* وَأَنْشَدُوا:

وَقَفْتُ وَأَجْفَانِي تَفِيضُ دُمُوعُهَا وَقَلْبِي مِنْ خَوْفِ الْقَطِيعَةِ هَائِمُ
وَكُلُّ مُسِيءٍ أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ ذَلِيلٌ حَزِينٌ مُطْرِقُ الطَّرْفِ نَادِمُ
فِيَا رَبِّ ذَنْبِي تَعَاظَمَ قَدْرُهُ وَأَنْتَ بِمَا أَشْكُو يَا رَبِّ عَالِمُ
وَأَنْتَ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ مُهَيْمِنٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ وَاسِعُ الْعَفْوِ رَاحِمُ

موعظة

* يَا أَخِي، كَمْ مِنْ يَوْمٍ قَطعتَهُ بِالتَّسْوِيفِ، وَكَمْ مِنْ سَبَبٍ أَضَعْتَ فِيهِ التَّكْلِيفَ، وَكَمْ أُذُنٍ سَمَّاعَةٍ لَا يَزْجُرُهَا التَّخْوِيفُ.

* لَمَّا حَضَرَتْ جَابرَ بْنَ زَيْدٍ الوفاةُ بَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ، فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ، كَيْفَ تُجِدُكَ؟ قَالَ: أَجِدُ أَمْرَ اللهِ غيرَ مَرْدُودٍ، يَا أَبَا سَعِيدٍ، حَدِّثْنِي،

(١) الصَّحِيحُ أَنَّ (طه) مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ مِثْلُ (الم) و(طسم) وَلَيْسَتْ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) مَعْنَى (تَرَهَّبُوا) هنا؛ أَيْ: تَعَبَّدُوا؛ لِأَنَّ الرَّهْبَنَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ الْحَسَنُ: يَا جَابِرُ، **الْمُؤْمِنُ مِنَ اللهِ عَلَى سَبِيلِ خَيْرٍ، إِنْ تَابَ قَبِلَهُ، وَإِنِ اسْتَقَالَ أَقَالَهُ، وَإِنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ قَبِلَ اعْتِذَارَهُ.**

سبب توبة داود الطائي

* وَكَانَ سَبَبُ تَوْبَةِ دَاوُدَ الطَّائِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ، فَسَمِعَ امْرَأَةً عِنْدَ قَبْرٍ تَبْكِي وَتَقُولُ:

تَزِيدُ بِلًى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَتُنْسَى كَمَا تُبْلَى وَأَنْتَ حَبِيبُ
مُقِيمٌ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ اللهُ خَلْقَهُ ... لِقَاؤُكَ لَا يُرْجَى وَأَنْتَ قَرِيبُ

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

* إِخْوَانِي، قَيِّدُوا هَذِهِ النُّفُوسَ بِزِمَامٍ، وَازْجُرُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ عَنِ الآثَامِ، وَاقْرَؤُوا صُحُفَ الْعِبَرَ بِأَلْسِنَةِ الأَفْهَامِ. يَا مَنْ أَجَلُهُ خَلْفَهُ وَأَمَلُهُ قُدَّامُ، يَا مُقْتَحِمًا عَلَى الْجَرَائِمِ أَيَّ اقْتِحَامٍ.

انْتَبِهُوا يَا نُوَّامُ، كَمْ ضَيَّعْتُمْ مِنْ أَعْوَامٍ، الدُّنْيَا كُلُّهَا مَنَامُ، وَأَحْلَى مَا فِيهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، غَيْرَ أَنَّ عَقْلَ الشَّيْخِ فِيهَا كَعَقْلِ الْغُلَامِ، **فَكُلُّ مَنْ قَهَرَ نَفْسَهُ فَهُوَ الْهُمَامُ**. هَذِهِ الْغَفْلَةُ قَدْ تَنَاهَتْ، وَالْمَصَائِبُ قَدْ تَدَانَتْ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالسَّلَامُ.

عيسى عليه السلام وقرية الأموات

* مَرَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَرْيَةٍ، فَوَجَدَ كُلَّ مَنْ فِيهَا أَمْوَاتًا، وَهُمْ مطْرُوحُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي الْأَزِقَّةِ، فَتَعَجَّبَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِينَ، إِنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ قَدْ مَاتُوا عَلَى سَخَطٍ وَغَضَبٍ، وَلَوْ مَاتُوا عَلَى رِضًا مِنَ اللهِ، لَدَفَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَقَالُوا: يَا رُوحَ اللهِ، وَدِدْنَا أَنْ نَعْرِفَ قَضِيَّتَهُمْ وَخَبَرَهُمْ. قَالَ: فَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِذَا كَانَ اللَّيْلُ نَادِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُجِيبُونَكَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، صَعِدَ عِيسَى عَلَى شَرَفٍ (أَيْ: مَوْضِعٍ عَالٍ) وَنَادَى: يَا أَهْلَ الْقَرِيَةِ، فَأَجَابَهُ مُجِيبٌ مِنْ بَيْنِهُمْ: لَبَّيْكَ يَا رُوحَ اللهِ، فَقَالَ: مَا قَضِيَّتُكُمْ؟ وَمَا خَبَرُكُمْ؟ فَقَالَ: يَا رُوحَ اللهِ، بِتْنَا فِي عَافِيَةٍ، وَأَصْبَحْنَا فِي الْهَاوِيَةِ. قَالَ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِحُبِّنَا فِي الدُّنْيَا، وَطَاعَتِنَا لِأَهْلِ الْمَعَاصِي، وَلَمْ نَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ نَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِلدُّنْيَا؟ قَالَ: كَحُبِّ الصَّبِيِّ لِأُمِّهِ؛ إِذَا أَقْبَلَتْ فَرِحْنَا، وَإِذَا أَدْبَرَتْ حَزِنَّا وَبَكَيْنَا.

فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا هَذَا، مَا بَالُ أَصْحَابِكَ لَمْ يُجِيبُونِي؟ قَالَ: إِنَّهُمْ مُلَجَّمُونَ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ بِأَيْدِي مَلَائِكَةٍ غِلَاظٍ شِدَادٍ.

قَالَ: وَكَيْفَ أَجَبْتَنِي أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ فِيهِمْ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ لَحِقَنِي مَعَهُمْ، فَأَنَا الْآنَ مُعَلَّقٌ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، لَا أَدْرِي: أَنْجُو مِنْهَا، أَمْ أُكَبُّ فِيهَا. أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا.

ابْكِ على خطيئتك فلعلك مطرود

* يَا مَنْ يَسِيرُ بِعُمُرِهِ وَقَدْ تَعَدَّى الْحُدُودَ، ابْكِ عَلَى مَعْصِيَتِكَ فَلَعَلَّكَ مَطْرُودٌ. يَا مَنْ عُمُرُهُ يُنْتَهَبُ وَلَيْسَ الْمَاضِي يَعُودُ، قَدْ أَسْمَعَتْكَ الْمَوَاعِظُ مِنْ إِرْشَادِهَا نُصْحًا، وَأَخْبَرَكَ الشَّيْبُ أَنَّكَ بِالْمَوْتِ تُقْصَدُ وَتُنَحَّى، وَنَادَاكَ لِسَانُ الِاعْتِبَارِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ [الانشقاق: ٦].

* وَأَنْشَدُوا:

لَمَّا انْقَضَى زَمَنُ التَّوَاصُلِ وَالرِّضَا ... قَدْ صِرْتَ تَطْلُبُ رَدَّ أَمْرٍ قَدْ مَضَى

هَلَّا أَتَيْتَ وَوَقْتُ وَصْلِكَ مُمْكِنٌ ... وَبَيَاضُ شَيْبِكَ فِي الْعَوَارِضِ مَا أَضَا

* يَا أَخِي، هَذَا أَوَانُ الرُّجُوعِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْأَوْزَارِ.

* وَأَنْشَدُوا:

أَتَيْتُكَ رَاجِيًا يَا ذَا الْجَلَالِ ... فَفَرِّجْ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي

عَصَيْتُكَ سَيِّدِي وَيْلِي بِجَهْلِي ... وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي

إِلَى مَنْ يَشْتَكِي الْمَمْلُوكُ إِلَّا ... إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي

فَوَيْلِي لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ... وَلَا أَعْصِيكَ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي

وَهَا أَنَا ذَا عُبَيْدُكَ عَبْدُ سُوءٍ ... بِبَابِكَ وَاقِفٌ يَا ذَا الْجَلَالِ

فَإِنْ عَاقَبْتَ يَا رَبِّي، فَإِنِّي ... مُحِقٌّ بِالْعَذَابِ وَبِالنَّكَالِ

وَإِنْ تَعْفُو فَعَفْوُكَ أَرْتَجِيهِ ... ويَحسُنُ إِنْ عَفَوْتَ قَبِيحَ حَالِي

موعظة

* يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا عِبَادِي، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنِّي جَعَلْتُ الدُّنْيَا دَارَ تَكْلِيفٍ وَامْتِحَانٍ، وَأَنِّي لَا أَخُصُّ بِمَنَازِلِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ إِلَّا مَنْ تَابَ إِلَيَّ فِيهَا عَنْ مَوَاطِنِ الزَّلَّاتِ وَالْعِصْيَانِ، فَمَا لَكُمْ مَا أَتَيْتُمْ لِبَابِي، وَلَا رَغِبْتُمْ فِي جَزِيلِ فَضْلِي وَثَوَابِي، وَلَا خِفْتُمْ مِنْ أَخْذِي وَعِقَابِي؟!

* **فِيا مَنْ جَلَّتْ غَفْلَتُهُ، وَطَالَتْ سَكْرَتُهُ، تَأَمَّلْ عَطْفَ الْمَوْلَى عَلَيْكَ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْكَ.**

فَبِاللهِ عَلَيْكُمْ، حُطُّوا بِالتَّوْبَةِ عَنْ ظُهُورِكُمْ أَحْمَالَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، وَأَقْبِلُوا بِقُلُوبِكُمْ إِلَى عَلَّامِ الْغُيُوبِ، وَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ بِقَطْرَاتِ الدُّمُوعِ، واشْتَمِلُوا بِأَرْدِيَةِ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ.

الفَصْلُ السَّادِسُ

* إِخْوَانِي، **انْتَبِهُوا مِنْ غَفْلَتِكُمْ، فَنَوْمُ الْغَفْلَةِ ثَقِيلٌ**، وَشَمِّرُوا لِآخِرَتِكُمْ، فَإِنَّما الدُّنْيَا مَنْزِلٌ، وَفِي طَرِيقِهَا مَقِيلٌ.

* جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: يَا نَبِيي، شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ عَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي، وَبَيْنَ مَنْ قَطَعَ عُمُرَهُ فِي مُعَامَلَتِي وَذِكْرِي، وَلُزُومِ الْوُقُوفِ بِبَابِي، ومَرَّغَ خَدَّهُ عَلَى أَعْتَابِي، فِيَا خَجْلَةَ الْخَاطِئِينَ، وَيَا نَدَامَةَ الْبَطَّالِينَ.

احذر أن تأتي يوم القيامة مفلسا

* وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: يَا أَصْحَابِي، أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْمُفْلِسُ عِنْدَنَا مَنْ لَيْسَ لَهُ دِينارٌ وَلَا دِرْهَمٌ. فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ هُوَ ذَلِكَ، إِنَّمَا الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَصَدَقَةٍ، ثُمَّ يَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَلَطَمَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفِكَ دَمَ هَذَا، فيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا كَذَلِكَ، حَتَّى تَفْنَى حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ، فَتُؤْخَذُ خَطَايَاهُمْ، فتُحْمَلُ عَلَى خَطَايَاهُ، وَيُقْذَفُ بِهِ فِي النَّارِ، فَهَذَا هُوَ الْمُفْلِسُ[١] نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْحِرْمَانِ.

الحسن البصري يبكي ويعظ

* جَلَسَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ذَاتَ يَوْمٍ يَعِظُ النَّاسَ، فَجَعَلُوا يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ لِيَقْرُبُوا مِنْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيهِمْ، وَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، تَزْدَحِمُونَ عَلَيَّ لِتَقْرُبُوا مِنِّي؟ فَكَيْفَ بِكُمْ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ إِذَا قُرِّبَتْ مَجَالِسُ الْمُتَّقِينَ، وَأُبْعِدَتْ مَجَالِسُ الظَّالِمِينَ، وَقِيلَ لِلْمُخِفِّينَ جُوزُوا، ولِلْمُثْقِلِينَ حُطُّوا؟ فِيَا لَيْتَ شِعْرِي: أَمَعَ الْمُثْقِلِينَ أَحُطُّ، أَمْ مَعَ الْمُخِفِينَ أَجُوزُ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ، وَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

وَنَادَاهُمْ، يَا إِخْوَتَاهُ، أَلَا تَبْكُونَ خَوْفًا مِنَ النَّارِ؟ أَلَا مَنْ بَكَى خَوْفًا مِنَ النَّارِ نَجَّاهُ اللهُ مِنْهَا يَوْمَ يُجَرُّ الْخَلَائِقُ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ.

يَا إِخْوَتَاهُ، أَلَا تَبْكُونَ شَوْقًا إِلَى اللهِ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ بَكَى شَوْقًا إِلَى اللهِ، لَمْ يُحْرَمْ مِنَ النَّظَرِ غَدًا إِلَى اللهِ إِذَا تَجلَّى بِالرَّحْمَةِ، وَاطَّلَعَ بِالْمَغْفِرَةِ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْعَاصِينَ.

يَا إِخْوَتَاهُ، أَلَا تَبْكُونَ مِنْ عَطَشِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ يَوْمَ يُحْشَرُ الْخَلَائِقُ وَقَدْ ذَبُلَتْ شِفَاهُهُمْ، وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً إِلَّا حَوْضَ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَيَشْرَبُ قَوْمٌ، وَيُمْنَعُ آخَرُونَ. أَلَا وَإِنَّ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِ عَطَشِ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَقَاهُ اللهُ مِنْ عُيُونِ الْفِرْدَوْسِ.

قَالَ: ثُمَّ نَادَى الْحَسَنُ: وَاذُلَّاهُ إِذَا لَمْ يُروَ عَطَشِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ.

ثُمَّ بَكَى وَجَعَلَ يَقُولُ: وَاللهِ لَقَدْ مَرَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدَاتِ، وَهِي تَقُولُ: إِلَهِي، قَدْ سَئِمْتُ الْحَيَاةَ شَوْقًا وَرَجَاءً فِيكَ. فَقُلْتُ لَهَا: يَا هَذِهِ، أَتُراكِ عَلَى يَقِينٍ مِنْ عَمَلِكِ؟ فَقَالَتْ: حُبِّي فِيهِ وَحِرْصِي عَلَى لِقَائِهِ بَسطَنِي. أَتُرَاهُ يُعَذِّبُنِي وَأَنَا أُحِبُّ؟

فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ أُخَاطِبُهَا، إِذْ مَرَّ بِي صَبِيٌّ صَغِيرٌ مِنْ بَعْضِ أَهْلِي، فَأَخَذْتُهُ فِي ذِرَاعِي، وَضَمَمْتُهُ إِلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَبَّلْتُهُ. فَقَالَتْ لِي: أَتُحِبُّ هَذَا الصَّبِيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَبَكَتْ، وَقَالَتْ: لَوْ يَعْلَمُ الْخَلَائِقُ مَا يَسْتَقْبِلُونَ غَدًا، مَا قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ، وَلَا الْتَذَّتْ قُلُوبُهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيا أَبَدًا.

قَالَ: فَبَيْنَما أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ أَقْبَلَ لَهَا وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ: «ضَيْغَم»، فَقَالَتْ: يَا ضَيْغَمُ،

أَتُرَانِي أَرَاكَ غَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَحْشَرِ، أَوْ يُحالُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ قَالَ: فَصَاحَ الصَّبِيِّ صَيْحَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدِ انْشَقَّ قَلْبُهُ، ثُمَّ خَرَّ مُغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَبْكِي عَلَيْهِ، وَبَكَيْتُ لِبُكَائِهَا.

فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ غَشْيَتِهِ، قَالَتْ لَهُ: يَا ضَيْغَمُ، قَالَ لَهَا لَبَّيْكَ يَا أُمَاهُ. قَالَتْ: أَتُحِبُّ الْمَوْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: وَلِمَ يا بُنَيَّ؟ قَالَ لَهَا: لِأَصِيرَ إِلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ غَذَّانِي فِي ظُلْمَةِ أَحْشَائِكِ، وَأَخْرَجَنِي مِنْ أَضْيَقِ الْمَسَالِكِ، وَلَوْ شَاءَ لَأَمَاتَنِي عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْ ضِيقِ ذَلِكَ الْمَسْلَكِ حَتَّى تَمُوتِي أَنْتِ مِنْ شِدَّةِ أَوْجَاعِكِ؛ لَكِنَّهُ بِرَحْمَتِهِ ولُطْفِهِ، سَهَّلَ ذَلِكَ عَلَيَّ وَعَلَيْكِ.

أَمَا سَمِعْتِيهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [**الحجر: ٤٩-٥٠**]. وَجَعَلَ يَبْكِي وَيُنَادِي: أَوَّاه أَوَّاه، إِنْ لَمْ أَنْجُ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللهِ.

الفَصْلُ السَّابِعُ

* إِخْوَانِي، الدُّنْيَا سُمُومٌ قَاتِلَةٌ، وَالنُّفُوسُ عَنْ مَكَائِدِهَا غَافِلَةٌ، كَمْ مِنْ نَظْرَةٍ تَحْلُو فِي الْعَاجِلَةِ، وَمَرَارَتُهَا لَا تُطَاقُ فِي الْعَاقِبَةِ الآجِلَةِ.

يَا ابْنَ آدَمَ، قَلْبُكَ قَلْبٌ ضَعِيفٌ، وَرَأْيُكَ فِي إِطْلَاقِ الطَّرْفِ وَأْيٌ (أَيْ: وَعْدٌ) سَخِيفٌ. عَيْنُكَ مَطْلُوقَةٌ، وَلِسَانُكَ يَجْنِي الآثَامَ، وَجَسَدُكَ يَتْعَبُ فِي كَسْبِ الحُطَامِ، كَمْ مِنْ نَظْرَةٍ مُحْتَقِرَةٍ زَلَّتْ بِهَا الْأَقْدَامُ.

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا ... رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلَا
فَلَامَ قَلْبِي طَرْفِي ... وَقَالَ كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقَالَ طَرْفِي لِقَلْبِي ... بَلْ كُنْتَ أَنْتَ الدَّلِيلَا
فَقُلْتُ كُفَّا جَمِيعًا ... تَرَكْتُمَانِي قَتِيلَا

* كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: النَّظْرَةُ تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ.

* وَقَالَ الْحَسَنُ: مَنْ أَطْلَقَ طَرْفَهُ، كَثُرَ أَلَمُهُ.

* قَالَ إِبْرَاهِيمُ:

وَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ ... فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أُوتَى وَمِنْ قَلْبِي

قصة العبد الهارب من مولاه

* قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: خَرَجْنَا مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ نُرِيدُ مَكَّةَ، وَمَدِينَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَكُنَّا فِي رُفْقَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ خَرَجَ مَعَنَا رَجُلٌ بِهِ أُدْمَةٌ فِي شُقْرَةٍ وَهُوَ مُصْفَرُّ اللَّوْنِ، قَدْ ذَهَبَ الدَّمُ مِنْ وَجْهِهِ مِمَّا بَلَغَتْ فِيهِ الْعِبَادَةُ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ خَلِقَةٌ مِنْ رِقَاعٍ شَتَّى (أَيْ: بَالِيَةٌ مُرَقَّعَةٌ) ، وَبِيَدِهِ عَصًا وَمَعَهُ مِزْوَدٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّادِ (أَيْ: مَعَهُ قَلِيلٌ مِنَ الطَّعَامِ).

قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَابِدًا زَاهِدًا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْقَافِلَةِ عَلَى تِلْكَ

الْحَالَةِ، أَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا لَهُ: نَظُنُّ أَنَّكَ عَبْدٌ. قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: نَظُنُّ أَنَّكَ عَبْدُ سُوءٍ هَرَبْتَ مِنْ مَوْلَاكَ. قَالَ لَهُمْ: نَعَمْ.

قَالُوا: كَيْفَ رَأَيْتَ نَفْسَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ مَوْلَاكَ، وَمَا صَارَ حَالُكَ إِلَيْهِ؟ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَقَمْتَ عِنْدَهُ مَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَتَكَ، وَإِنَّما أَنْتَ عَبْدُ سُوءٍ مُقَصِّرٌ. فَقَالَ لَهُمْ: نَعَمْ -وَاللهِ- أَنَا عَبْدُ سُوءٍ، وَنِعْمَ الْمَوْلَى مَوْلَاي، وَمِنْ قِبَلِي التَّقْصِيرُ، وَلَوْ أَطَعْتُهُ وَطَلَبْتُ رِضَاهُ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي هَذَا، وَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى كَادَتْ نَفْسُهُ أَنْ تَزْهَقَ.

قَالَ: فَرَحِمَهُ الْقَوْمُ، وَظَنُّوا أَنَّهُ يَعْنِي مَوْلَى مِنْ مَوَالِي الدُّنْيا، وَهُوَ مَا كَانَ يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا رَبَّ الْعِزَّةِ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَافِلَةِ: لَا تَخَفْ، أَنَا آخُذُ لَكَ مِنْ مَوْلَاكَ الْأَمَانَ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ وَتُبْ. فَقَالَ: إِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهُ، وَرَاغِبٌ فِيمَا لَدَيْهِ.

❋ وَأَنْشَدُوا:

دَعُونِي أُنَاجِي مَوْلًى جَلِيلا … إِذَا اللَّيْلُ أَرْخَى عَلَيَّ السُّدُولَا
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ ذَلِيلٍ … لِأَرْجُو بِهِ يَا إِلَهِي الْقَبُولَا
لَكَ الْحَمْدُ وَالْمَجْدُ وَالْكِبْرِيَاءُ … وَأَنْتَ الْإِلَهُ الَّذِي لَنْ يَزُولا
وَأَنْتَ الْإِلَهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ … حَمِيدًا كَرِيمًا عَظِيمًا جَلِيلَا
تُمِيتُ الْأَنَامَ وتُحْيِي العِظَامَ … وتُنْشِى الْخَلَائِقَ جِيلًا فَجِيلَا
عَظِيمُ الْجَلَالِ كَرِيمُ الْفِعَالِ … جَزِيلُ النَّوَالِ تُنِيلُ السَّؤُولَا
حَبِيبُ القُلُوبِ غَفُورُ الذُّنُوبِ … تُوارِي الْعُيُوبَ تُقِيلُ الْجَهُولَا
وتُعْطِي الْجَزِيلَ وَتُولِي الْجَمِيلَ … وَتَأْخُذُ مِنْ ذَا وَذَاكَ الْقَلِيلَا
خَزَائِنُ جُودِكَ لَا تَنْقَضِي … تَعُمُّ الْجَوَادَ بِهَا وَالْبَخِيلَا

الْفَصْلُ الثَّامِنُ

* إِخْوَانِي، إِلَى كَمْ هَذِهِ الْغَفْلَةُ وَأَنْتُمْ مُطَالَبُونَ بِغَيْرِ مُهْلَةٍ؟ فَبِاللهِ عَلَيْكُمْ، تَعَاهَدُوا أَيَّامَكُمْ بِتَحْصِيلِ الْعَدَدِ، وَأَصْلِحُوا مِنْ أَعْمَالِكُمْ مَا فَسَدَ، وَكُونُوا مِنْ آجَالِكُمْ عَلَى رَصَدٍ، فَقَدْ آذَنَتْكُمْ الدُّنْيَا بِالذَّهَابِ، وَأَنْتُمْ تَلْعَبُونَ بِالْأَجَلِ وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ يَوْمُ الْحِسَابِ. آهٍ مِنْ ثُقْلِ الْحِمْلِ. آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ الطَّرِيقِ.

فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ بِإِقْبَالِهِ، الْمَفْتُونُ بِكَوَاذِبِ آمَالِهِ، الَّذِي غَابَ عَنِ الصَّوَابِ، وَهُوَ فِي فِعْلِهِ كَذَّابٌ.

إلى كم تؤخر التوبة؟

يَا بَطَّالُ، إِلَى كَمْ تُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ وَمَا أَنْتَ فِي التَّأْخِيرِ بِمَعْذُورٍ؟ إِلَى مَتَى يُقَالُ عَنْكَ: مَفْتُونٌ وَمَغْرُورٌ؟ يَا مِسْكِينُ، قَدِ انْقَضَتْ أَشْهُرُ الْخَيْرِ وَأَنْتَ تَعُدُّ الشُّهُورَ؟

أَتُرَى مَقْبُولٌ أَنْتَ أَمْ مَطْرُودٌ؟ أَتُرَى مُوَاصِلٌ أَنْتَ أَمْ مَهْجُورٌ؟ أَتُرَى تَرْكَبُ النُّجُبَ (أَيْ: النُّوقَ الْجِيادَ) غَدًا أَمْ أَنْتَ عَلَى وَجْهِكَ مَجْرُورٌ؟ أَتُرَى مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ أَنْتَ أَمْ مِنْ أَرْبَابِ النَّعِيمِ وَالْقُصُورِ؟ فَازَ -وَاللهِ- الْمُخِفُّونَ، وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ، أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ.

* وَأَنْشَدُوا:

مَالِي أَرَاكَ عَلَى الذُّنُوبِ مُوَاظِبًا ... أَأَخَذْتَ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ أَمَانَا
لَا تَغْفَلَنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَى ... وَلَعَلَّ عُمُرَكَ قَدْ دَنَا أَوْ حَانَا
وَمَضَى الْحَبِيبُ لِحَفْرِ قَبْرِهِ مُسْرِعًا ... وَأَتَى الصَّدِيقُ فَأَنْذَرَ الْجِيرَانَا
وَأَتَوْا بِغَسَّالٍ وَجَاؤُوا نَحْوَهُ ... وَبَدَا بِغَسْلِكَ مَيِّتًا عُرْيَانَا
فَغُسِّلْتَ ثُمَّ كُسِيتَ ثَوبًا لِلْبِلَى ... وَدَعَوْا لِحَمْلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَا
وَأَتَاكَ أَهْلُكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُوا ... وَجَرَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُمْ غُدْرَانَا
فَخَفِ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ مَنْ خَافَهُ ... سَكَنَ الْجِنَانَ مُجَاوِرًا رِضْوَانَا

جَنَّـــاتِ عَـــدْنٍ لَا يَبِيـــدُ نَعِيمُهَـــا أَبَـــدًا يُخَـــالِطُ رُوحُـــهُ رَيْحانَـــا
وَلِمَـــنْ عَصَـــى نَـــارٌ يُقَـــالُ لَهَـــا لَظَـــىً تَشْـــوِي الْوُجُـــوهَ وَتَحْـــرِقُ الْأَبْـــدَانَا
نَبْكِـــي وحُـــقَّ لَنَـــا الْبُكَـــاءُ يَـــا قَوْمَنَـــا كَـــي لَا يُؤاخِـــذُنَا بِمَـــا قَـــدْ كَانَـــا

❋ [كَأَنَّ مُنادِيًا يُنَادِي ابْنَ آدَمَ فِي سِياقِ الْمَوْتِ]:

-يَا ابْنَ آدَمَ، أَيْنَ بَدْنُكَ الْقَوِيُّ؟ مَا أَضْعَفَهُ الْيَوْمَ! أَيْنَ لِسَانُكَ الْفَصِيحُ؟ مَا أَسْكَتَهُ الْيَوْمَ! أَيْنَ أَهْلُكَ وَقَرَابَتُكَ؟ مَا أَوْحَشَكَ مِنْهُمُ الْيَوْمَ!

-يَا ابْنَ آدَمَ، أَيْنَ مَا أَعْدَدْتَ مِنَ الْغِنَى لِلْفَقْرِ؟ أَيْنَ مَا أَعْدَدْتَ مِنَ الْخَرَابِ لِلْعُمْرَانِ؟ أَيْنَ مَا أَعْدَدْتَ مِنَ الْأُنْسِ لِلْوَحْشَةِ؟

-يَا ابْنَ آدَمَ، الْيَوْمَ تُسَافِرُ سَفَرًا بَعِيدًا لَمْ تُسَافِرْ سَفَرًا أَبْعَدَ مِنْهُ، الْيَوْمَ تَزُورُ قَوْمًا لَمْ تَزُرْهُمْ قَبْلَ هَذَا قَطُّ، الْيَوْمَ تَدْخُلُ مَدْخَلًا ضَيِّقًا لَمْ تَدْخُلْ أَضْيَقَ مِنْهُ، فَطُوبَى لَكَ إِنْ فُزْتَ بِرِضْوَانِ اللهِ، وَوَيْلٌ لَكَ إِنْ رَجَعْتَ بِسَخَطِ اللهِ.

-يَا ابْنَ آدَمَ، بِالْأَمْسِ كُنْتَ عَلَى ظَهْرِهَا مَاشِيًا، وَالْيَوْمَ صِرْتَ فِي بَطْنِهَا مُضْطَجِعًا. بِالْأَمْسِ كُنْتَ عَلَى ظَهْرِهَا ضَاحِكًا، وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ فِي بَطْنِهَا بَاكِيًا. بِالْأَمْسِ كُنْتَ عَلَى ظَهْرِهَا مُذْنِبًا، وَالْيَوْمَ أَمْسَيْتَ فِي بَطْنِهَا نَادِمًا.

-يَا ابْنَ آدَمَ، دَفَنُوكَ وَتَرَكُوكَ، وَلَوْ أَقَامُوا عِنْدَكَ مَا نَفَعُوكَ. جَمَعْتَ الْمَالَ وَتَرَكْتَهُ لِغَيْرِكَ. الْيَوْمَ تَصِيرُ إِمَّا لِجَنَّةٍ عَالِيَةٍ، أَوْ إِلَى نَارٍ حَامِيَةٍ.

قصة الفتى الخائف من ربه

❋ وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْمُتَعَبِّدِينَ أَنَّهُ قَالَ: إِلَهِي عَصَيْتُكَ قَوِيًّا، وَأَطَعْتُكَ ضَعِيفًا، وَأَسْخَطْتُكَ جَلْدًا (أَيْ: قَوِيًّا)، وَخَدَمْتُكَ نَحِيفًا، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ قَبِلْتَنِي عَلَى لُؤْمِي، أَمْ صَرَفْتَنِي عَلَى جُرْمِي؟ قَالَ: ثُمَّ غُشِيَ عَلَيْهِ وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَانْسَلَخَتْ جَبْهَتُهُ.

فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ، وَقَبَّلَتْهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَمَسَحَتْ جَبْهَتَهُ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: قُرَّةَ عَيْنِي فِي الدُّنْيَا، وَثَمرةَ فُؤَادِي فِي الْآخِرَةِ، كَلِّمْ عَجُوزَكَ الثَّكْلَى، وَرُدَّ جَوَابَ أُمِّكَ الْحَرَّى.

قَالَ: فَأَفَاقَ الْفَتَى مِنْ غَشْيَتِهِ، وَيَدُهُ قَابِضَةٌ عَلَى كَبِدِهِ، وَرُوحِهِ تَتَرَدَّدُ فِي جَسَدِهِ، وَدُمُوعِهِ تَنْسَكِبُ عَلَى خَدِّهِ وَلِحْيَتِهِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّاهُ، هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كُنْتِ تُحَذِّرِينِي مِنْهُ، وَهَذَا هُوَ المَصْرَعُ الَّذِي كُنْتِ تُخَوِّفِينِي مِنْهُ، هَذَا مَصْرَعُ الْأَهْوَالِ، وَسُقُوطُ عَثْرَةِ الْأَثْقَالِ، فَيَا أَسَفًا عَلَى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَيَا جَزَعِي مِنَ الْأَيَّامِ الطُّوَالِ الَّتِي لَمْ أُعَرِّجْ فِيهَا عَلَى الْإِقْبَالِ.

يَا أُمَّاهُ، أَنَا خَائِفٌ عَلَى نَفْسِي أَنْ يَطُولَ فِي النَّارِ سَجْنِي وَحَبْسِي. يَا حُزْنَاهُ إِنْ رُمِيتُ فِيهَا عَلَى رَأْسِي، وَيَا أَسَفاهُ إِنْ قُطِعَتْ فِيهَا أَنْفَاسِي.

يَا أُمَّاه، افْعَلِي مَا أَقُولُ لَكِ.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا بُنَيَّ، فَدَتْكَ نَفْسِي، مَاذَا تُرِيدُ؟

قَالَ لَهَا: ضَعِي خَدِّي عَلَى التُّرَابِ؛ حَتَّى أَذُوقَ طَعْمَ الذُّلِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّلَذُّذَ لِلْسَيِّدِ الْمَوْلَى، عَسَى أَنْ يَرْحَمَنِي وَيُنْجِّينِي مِنْ نَارِ لَظًى.

قَالَتْ أُمُّهُ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فِي الْحَالِ، وَقَدْ أَلْصَقَ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ، وَالدُّمُوعُ تَجْرِي مِنْ عَيْنَيْهِ كَالْمِيزَابِ، فَإِذَا هُوَ يُنَادِي بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ أَذْنَبَ وَعَصَى، وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ أَخْطَأَ وَأَسَاءَ، هَذَا جَزَاءُ مَنْ لَمْ يَقِفْ بِبَابِ الْمَوْلَى، هَذَا جَزَاءُ مَنْ لَمْ يُراقِبِ العَلِيَّ الأَعلَى.

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ فِي مَكَانِهِ، فَرَأَتْهُ أُمُّهُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ وَجْهَهُ فَلْقَةُ قَمَرٍ تَجَلَّى مِنْ سَحَابٍ.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا بُنَيَّ، مَا فَعَلَ بِكَ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: رَفَع دَرَجَتِّي، وَقَرَّبَنِي مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

الْفَصْلُ التَّاسِعُ

نتقلَّب في ستة أسفار

* إِخْوَانِي، السَّفَرُ مَكْتُوبٌ عَلَيْنَا، فَمَا لَنَا نَطْلُبُ الْإِقَامَةَ فِي دَارٍ لَيْسَتْ لَنَا دَارَ مُقَامَةٍ؟ السُّنُونُ مَنَازِلُ، وَالشُّهُورُ مَرَاحِلُ، وَالْأَيَّامُ أَمْيَالٌ، وَالْأَنْفَاسُ خُطُواتٌ، وَالْمَعَاصِي قُطَّاعٌ، وَالرِّبْحُ الْجَنَّةُ، وَالْخُسْرَانُ النَّارُ. خُلِقْنَا نَتَقَلَّبُ فِي سِتَّةِ أَسْفَارٍ إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ بِنَا الْقَرَارُ:

فَالسَّفَرُ الْأَوَّلُ: سَفَرُ السُّلَالَةِ مِنَ الطِّينِ،

وَالثَّانِي: مِنَ الصُّلْبِ إِلَى الرَّحِمِ،

وَالثَّالِثُ: مِنَ الرَّحِمِ إِلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ،

وَالرَّابِعُ: مِنْ ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى الْقَبْرِ،

وَالْخَامِسُ: مِنَ الْقَبْرِ إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ،

وَالسَّادِسُ: مِنْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، وَقَدْ قَطَعْنَا نِصْفَ الطَّرِيقِ، وَبَقِي الْأَصْعَبُ.

يَا مَنْ يَضِجُّ فِي الْكَرْبِ وَيَصِيحُ، خَلِّ التَّدْبِيرَ لِغَيْرِكَ فَتَسْتَرِيحَ، تُكْثِرُ النَّحِيبَ وَالْعَوِيلَ، وَتَنْسَى مَا سَلَفَ مِنَ الْفِعْلِ الْوَبِيلِ. لَوْ رَجَعْتَ إِلَيْهِ بِقَلْبِكَ، لَعَجَّلَ عَلَيْكَ بِتَفْرِيجِ هَمِّكَ وَكَرْبِكَ.

يَا أَخِي، إِيَّاكَ وَالدُّنْيَا، فَإِنَّ حَبْلَ الدُّنْيَا مَبْتُوتٌ (أَيْ: مَقْطُوعٌ)، وَاقْنَعْ مِنْهَا بِالْقُوتِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ تَمُوتُ.

قصة الغلام الذي سبق الصالحين إلى الله

* قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَإِذَا النَّاسُ قَدْ قُحِطُوا مِنَ الْمَطَرِ، وَهُمْ يَسْتَسْقُونَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَكُنْتُ فِي النَّاسِ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، إِذْ أَقْبَلَ غُلَامٌ أَسْوَدُ عَلَيْهِ قِطْعَتَا خَيْشٍ، قَدِ ائْتَزَرَ بِإِحْدَاهُمَا، وَأَلْقَى الْأُخْرَى عَلَى عَاتِقَيْهِ، فَصَارَ

فِي مَوْضِعٍ خَفيٍّ إِلَى جَانِبِي، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِلَهِي، أَخْلَقَتِ الوُجُوهَ كَثْرةُ الذُّنُوبِ وَمَسَاوِئُ الْعُيُوبِ، وَقَدْ مَنَعْتَنَا غَيْثَ السَّمَواتِ لِتُؤَدِّبَ الْخَلِيقَةَ بِذَلِكَ، **فَأَسْأَلُكَ يَا حَلِيمُ، يَا مَنْ لَا يَعْرِفُ عِبَادُهُ مَنْهُ إِلَّا الْجَمِيلَ، اسْقِهِمْ السَّاعَةَ السَّاعَةَ.**

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: اسْقِهِمُ السَّاعَةَ السَّاعَةَ، حَتَّى انْسَدَّ الْجُوُّ بِالغَمَامِ، وَأَقْبَلَتْ قَطَرَاتُ الرُّكَامِ (أَيِ: السَّحابِ الْمُتَرَاكِمِ) تَهْطِلُ كَأَفْوَاهِ الْقِرَبِ، وَجَلَسَ مَكَانَهُ يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى، فَأَخَذْتُ فِي البُكَاءِ، حَتَّى قَامَ فَاتَّبَعْتُهُ؛ حَتَّى عَرَفْتُ مَوْضِعَهُ (أَيْ: مَكَانَ سَكَنِهِ).

فَجِئْتُ إِلَى الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، فَقَالَ لِي: مَا لِي أَرَاكَ كَئِيبًا؟

فَقُلْتُ لَهُ: سَبَقَنَا إِلَيْهِ غَيْرُنَا، فَوَلَّاهُ دُونَنَا. قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ القِصَّةَ، فَصَاحَ وَسَقَطَ فِي الْأَرْضِ، وَقَالَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ الْمُبَارَكِ، خُذْنِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: قَدْ ضَاقَ الْوَقْتُ، سَأَبْحَثُ عَنْ شَأْنِهِ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، صَلَيْتُ الْغَدَاةَ (أَيِ: الصُّبْحَ)، وَخَرَجْتُ أُرِيدُ الْمَوْضِعَ، فَإِذَا بِشَيْخٍ (أَيْ: رَجُلٍ كَبِيرٍ) عَلَى بَابٍ، وَقَدْ بُسِطَ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَآنِي عَرَفَنِي، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا حَاجَتُكَ؟

فَقُلْتُ: اِحْتَجْتُ إِلَى غُلَامٍ (أَيْ: خَادِمٍ)، فَقَالَ: نَعَمْ، عِنْدِي عِدَّةٌ، اخْتَرْ أَيَّهُمْ شِئْتَ، فَصَاحَ يَا غُلَامُ، فَخَرَجَ غُلَامٌ جَلْدٌ (أَيْ: قَوِيٌّ)، فَقَالَ: هَذَا مَحْمُودُ الْعَاقِبَةِ، أَرْضَاهُ لَكَ، فَقُلْتُ: لَيْسَ هَذَا حَاجَتِي، فَمَا زَالَ يُخْرِجُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيَّ الْغُلَامَ، فَلَمَّا أَبْصَرْتُهُ بَدَرَتْ عَيْنَايَ بِالدُّمُوعِ، فَقَالَ: هَذَا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: لَيْسَ لِي إِلَى بَيْعِهِ سَبِيلٌ. فَقُلْتُ: وَلِمَ؟! قَالَ: قَدْ تَبَرَّكْتُ بِمَوْضِعِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ وَلَا رَزِيَّةٌ مُنْذُ دَخَلَ عِنْدِي فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَقُلْتُ

لَهُ: وَمِنْ أَيْنَ طَعَامُهُ؟ فَقَالَ: يَكْسِبُ مِنْ فَتْلِ الشَّرِيطِ نِصْفَ دَانِقٍ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ (الدَّانِقُ: سُدسُ دِرْهَمٍ)، فَهُوَ قُوتُهُ إِنْ بَاعَهُ فِي يَوْمِهِ، وَإِلَّا طَوِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ (أَيْ: لَمْ يَأْكُلْ أَوْ صَامَ).

وَأَخبرَنِي الْغِلْمَانُ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَنَامُ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَلَا يَخْتَلِطُ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ، مُهْتَمٌ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ أَحَبَّهُ قَلْبِي.

فَقُلْتُ لَهُ: أَنْصَرِفُ إِلَى الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِغَيْرِ قَضَاءِ حَاجَةٍ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ، وَسَأَلْتُهُ بِإِلْحَاحٍ، فَقَالَ: إِنْ مَمْشَاكَ عِنْدِي كَبِيرٌ، خُذْهُ بِمَا شِئْتَ.

قَالَ: فَاشْتَرَيْتُهُ، وَسِرْتُ مَعَهُ نَحْوَ دَارِ الفُضَيْلِ، فَمَشَيْتُ سَاعَةً فَقَالَ لِي: يَا مَوْلَايَ.

فَقُلْتُ لَهُ: لَبَّيْكَ، فَقَالَ: لَا تَقُلْ لَبَّيْكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ أَوْلَى بِأَنْ يُلَبِّي مِنَ الْمَوْلَى.

قُلْتُ: وَمَا حَاجَتُكَ يَا حَبِيبِي؟!.

قَالَ: أَنَا ضَعِيفُ الْبَدَنِ، لَا أُطِيقُ الْخِدْمَةَ، وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي غَيْرِي سَعَةٌ، قَدْ أَخْرَجَ لَكَ مَنْ هُوَ أَجْلَدُ مِنِّي وَأَثْبَتُ.

فَقُلْتُ لَهُ: لَا يَرَانِي اللهُ تَعَالَى أَسْتَخْدِمُكَ، وَلَا كَانَ اشْتِرَائِي لَكَ إِلَّا لِأُنْزِلَكَ مَنْزِلَةَ الْأَوْلَادِ، وَلِأُزَوِّجَكَ، وَأَخْدُمَكَ أَنَا بِنَفْسِي.

قَالَ: فَبَكَى، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ لِي: أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا، إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتَ بَعْضَ مُتَّصِلَاتِي بِاللهِ تَعَالَى، وَإِلَّا فَلِمَ أَخَذْتَنِي مِنْ أُولَئِكَ الْغِلْمَانِ؟

فَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ بِكَ حَاجَةٌ إِلَّا هَذَا.

فَقَالَ لِي: سَأَلْتُكَ بِاللهِ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي.

فَقُلْتُ لَهُ: بِإِجَابَةِ دَعْوَتِكَ.

فَقَالَ لِي: إِنِّي أَحْسِبُكَ (أَظُنُّكَ) -إِنْ شَاءَ اللهُ- رَجُلًا صَالِحًا، إِنْ للهِ عَزَّ وَجَلَّ خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَكْشِفُ شَأْنَهُمْ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا يُظْهِرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى.

ثُمَّ قَالَ لِي: تَرَى أَنْ تَقِفَ عَلَيَّ قَلِيلًا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِي عَلِيَّ رَكَعَاتٌ مِنَ الْبَارِحَةِ.

قُلْتُ: هَذَا مَنْزِلُ الْفُضَيْلِ.

قَالَ: لَا، هَاهُنَا أَحَبُّ إِلَيَّ. إِنَّ أَمَرَ اللهِ تَعَالى لَا يُؤَخَّرُ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَمَا زَالَ يُصَلِي حَتَّى أَتَى عَلَى مَا أَرَادَ، فالْتَفتَ إِليَّ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟.

قُلْتَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أُرِيدُ الِانْصِرافَ.

قُلْتَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى الْآخِرَةِ.

قُلْتُ: لَا تَفْعَلْ دَعْنِي أَنْتَفِعُ بِكَ.

فَقَالَ لِي: إِنَّمَا كَانَتْ تَطِيبُ الْحَيَاةُ حَيْثُ كَانَتِ الْمُعَامَلَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى، فَأَمَّا إِذَا اطَّلَعْتَ عَلَيْها أَنْتَ، سَيَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُكَ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: إِلَهِي اقْبِضْنِي السَّاعَةَ السَّاعَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ. فَوَ اللهِ مَا ذَكَرْتُهُ قَطُّ إِلَّا طَالَ حُزْنِي، وَصَغُرَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِي، وَحَقَرْتُ عَمَلِي. رَحِمَهُ اللهُ.

الْفَصْلُ الْعَاشِرُ

* يَا هَذَا، كَمْ تَتَزَيَّا بِزَيِّ الْعُبَّادِ وَالزُّهَّادِ وَحَالُ قَلْبِكَ فِي الْغَفْلَةِ مَا حَالَ، الظَّاهِرُ مِنْكَ نَقِيٌّ، وَالْبَاطِنُ مِنْكَ مُتَّسِخٌ بِطُولِ الآمَالِ. لَا تَصْلُحُ الْمَحَبَّةُ لِمَنْ يُمِيلُهُ حُبُّ الْمَالِ، وَلَوْلَا مُكَابَدَةُ الْمُجَاهَدَةِ لَمْ يُسَمَّ الْقَوْمُ رِجَالًا.

يَا مَيِّتَ الْقَلْبِ، وَعْدُكَ فِي الدُّنْيَا صَحِيحٌ، وَفِي الْآخِرَةِ مُحَالٌ، إِنْ لَمْ تُبَادِرْ فِي الشَّبَابِ، فَبَادِرْ فِي الِاكْتِهَالِ، مَا بَعْدَ شَيْبِ الرَّأْسِ لَهْوٌ، وَمَا أَبْعَدَ عَثْرَةَ الشَّيْخِ أَنْ تُقَالَ. ضَيَّعْتَ زَمَانَ الشَّبَابِ فِي الْغَفْلَةِ، وَفِي الْكِبَرِ تَبْكِي عَلَى التَّفْرِيطِ فِي الْأَعْمَالِ، لَوْ عَلِمْتَ مَا أُحْصِي عَلَيْكَ، لَكُنْتَ مِنَ الْبَاكِينَ طُولَ اللَّيَالِي.

كن على باب مولاك كالصبي

* قَالَ رَجُلٌ لِذِي النُّونِ وَهُوَ يَعِظُ النَّاسَ: يَا شَيْخُ، مَا الَّذِي أَصْنَعُ؟ كُلَّمَا وَقَفْتُ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَوْلَى صَرَفَنِي عَنْهُ قَاطِعُ الْمِحَنِ وَالْبَلْوَى.

قَالَ لَهُ: يَا أَخِي، كُنْ عَلَى بَابِ مَوْلَاكَ كَالصَّبِي الصَّغِيرِ مَعَ أُمِّهِ، كُلَّمَا ضَرَبَتْهُ أُمُّهُ تَرَامَى عَلَيْهَا، وَكُلَّمَا طَرَدَتْهُ، تَقَرَّبَ إِلَيْهَا، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى تَضُمَّهُ إِلَيْهَا.

* يُرْوَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسِيحُ (يَمْشِي) فِي الْأَرْضِ، وَيَقُولُ: دَابَّتِي رِجْلَايَ، وَلِبَاسِي الشَّعْرُ، وَشِعَارِي خَوْفُ اللهِ، وَرِيحَانِي عُشْبُ الْأَرْضِ، وَطَعَامِي خُبْزُ الشَّعِيرِ، وَظِلِّي ظُلُمَاتُ اللَّيْلِ، وَمَسْكَنِي حَيْثُ أَوَانِي اللَّيْلُ، وَهَذَا لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرٌ.

* يَا هَذَا، إِلَى مَتَى تَسْمَعُ أَخْبَارَهُمْ وَلَا تَقْفُو آثَارَهُمْ؟ اطْلُبْ رُفْقَةَ التَّائِبِينَ عَسَاكَ لِطَرِيقِهِمْ تَرْشَدُ، انْدُبْ عَلَى بِعَادِكَ يَا مَطْرُودُ، فَمِثْلُكَ مَنْ بَكَى وَعَدَّدَ، اعْتَذِرْ يَا مَهْجُورُ، عَسَاكَ بِالذُّلِّ تَسْعَدُ، وَقُلْ بِلِسَانِ التَّذَلُّلِ وَالْأَسَفِ وَالْكَمَدِ:

كَمْ ذَا التَّلَوُّمُ لَا إِقْلَاعَ يَصْحَبُهُ ... وَلَا عَزِيمَةَ هَذَا الْعَجْزُ وَالْكَسَلُ

وَكَـــمْ أُرَدِّدُ أَقْـــوالًا مُلَفَّقَـــةً ... مَا يَنْفَعُ القَـوْلُ إِنْ لَـمْ يَصْدقْ العَمَـلُ

وَاعَجَبًا! كَمْ لِي أُعَاتِبُ الْمَهْجُورَ وَالْعَتْبُ مَا يَنْفَعُ، كَمْ لِي أُنَادِي أُطْرُوشَ (أَيْ: أَصَمَّ) الْغَفْلَةِ لَوْ كَانَ النِّدَاءُ يُسْمِعُ، كَمْ لِي أُحَدِّثُ قَلْبَكَ وَفِي سَمَاعِكَ أَطْمَعُ. وَاهًا عَلَيْكَ يَا جَامِدَ الْعَيْنِ، قَطُّ مَا تَدْمَعُ.

مِنْ عَلَامَةِ الْخِذْلَانِ قَلْبٌ لَا يَخْشَعُ، قَلْبُكَ ذَهَبَ فِي حُبِّ الْفَانِي، وَأَنْتَ لِلْحَرَامِ تَجْمَعُ.

عَلَيْكَ يَا غَافِلُ فِي جَمْعِهِ الْحِسَابُ، وتُخْلِفُهُ لِمَنْ لَا يَنْفَعُ، بَيْنَمَا أَنْتَ فِي بُسْتَانِ اللَّهْوِ إِذْ قِيلَ: فُلَانٌ سَافَرَ وَلَيْسَ فِي رُجُوعِهِ مَطْمَعٌ.

مَن لازم الطاعة ثبّته الله

* ويُرْوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي صَالِحٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَدُورُ فِي جَبَلِ اللُّكَّامِ (جَبَلٌ يُطِلُّ على أَنْطَاكِيَةَ) أَطْلُبُ الزُّهَّادَ وَالْعُبَّادَ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا عَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى صَخْرَةٍ مُطْرِقٌ إِلَى الْأَرْضِ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا شَيْخُ مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا؟

قَالَ لِي: أَنْظُر، وَأَرْعَى.

قُلْتُ لَهُ: مَا أَرَى بَيْنَ يَدَيْكَ إِلَّا الْحِجَارَةَ، فَمَا الَّذِي تَنْظُر وَتَرْعَى؟!

قَالَ: أَنْظُرُ خَواطرَ قَلْبِي، وَأَرْعَى أَوَامِرَ رَبِّي، [أُتْرُكْنِي] فَإِنَّكَ شَغَلْتَنِي عَنْ مَوْلَايَ.

فَقُلْتُ لَهُ: كَلِّمْنِي بِشَيْءٍ أَنْتَفِعُ بِهِ.

فَقَالَ لِي: مَنْ لَازَمَ الْبَابَ، أُثْبِتَ فِي الْخِدْمَةِ (أَيْ: ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَى الطَّاعَةِ)، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ الذُّنُوبِ، أَكْثَرَ مِنَ النَّدَمِ، وَمَنِ اسْتَغْنَى بِاللهِ، لَمْ يَخَفِ الْعَدَمَ. ثُمَّ تَرَكَنِي وَمَضَى، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

الْفَصْلُ الْحَادِي عَشَرَ

يَا مَنْ رَوَاحِلُهُ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا لَهَا إِسْرَاعٌ، مَتَى تَحُلُّ عَنْهَا نِطَاقَ الْأَمَلِ؛ فَيَكُونَ الِانْقِطَاعُ؟ **إِذَا طَلَبْتَ الْآخِرَةَ تَمْشِي رُوَيْدًا، فَمَتَّى يَكُونُ الِانْتِفَاعُ؟**

عَجَبًا كَيْفَ تَشُدُّ الرِّحَالَ فِي طَلَبِ الفَانِي وَفِي طَرِيقِهِ قُطَّاعٌ؟!

الْعُمُرُ أَمَانَةٌ أَتْلَفْتَ شَبَابَهُ فِي الْخِيَانَةِ، وكُهُولَتَهُ فِي الْبَطَالَةِ، وَفِي الشَّيْخُوخَةِ تَبْكِي وَتَقُولُ: عُمْرِي قَدْ ضَاعَ. مَتَى أَفْلَحَ الْخَائِنُ فِيمَا اشْتَرَى أَوْ بَاعَ؟

أَنْتَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا صَحِيحُ الْجِسْمِ، وَفِي طَلَبِ الْآخِرَةِ بِكَ أَوْجَاعٌ! كَمْ تُعَرِّجُ عَنْ سُبُلِ التَّقْوَى يَا أَعْرَجَ الهِمَّةِ، يَا مَنْ يَبْقَى فِي الْقَاعِ، يَا مَنْ عَلَى عُمُرِهِ لَيْلُ الْغَفْلَةِ، طَلَعَ فَجْرُ الْمَشِيبِ بَيْنَ الْأَضْلَاعِ. رَافِقْ رِفَاقَ التَّائِبِينَ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ مَعَ الْمُنْقَطِعِينَ ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل: ٧٥].

يَا أَخِي، إِذَا طَرَدَكَ مَوْلَاكَ عَنْ بَابِهِ، فَإِلَى بَابِ مَنْ تَرْجِعُ؟ وَإِلَى أَيِّ طَرِيقٍ تَذْهَبُ؟ وَإِلَى أَيِّ جِهَةٍ تَقْصِدُ؟ لَازِمْ بَابَ مَوْلَاكَ، فَلَعَلَّ وَعَسَى يُثْمِرُ عَوْدُكَ (أَيْ: رُجُوعُكَ).

* وَأَنْشَدُوا:

حَنِينُ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ إِلَى الذِّكْرِ ... وَتِذْكَارُهُمْ عَنِ الْمُنَاجَاةِ بِالسِّرِّ
عُبَّادٌ عَلَيْهِم رَحْمَةُ اللهِ أُنْزِلَتْ ... فَظَلُّوا عُكُوفًا فِي الفَيَافِي وَفِي القَفْرِ
وَرَاعُوا نُجُومَ اللَّيْلِ لَا يَرْقُدُونَهُ ... بِإِدْمَانِ تَثْبِيتِ الْيَقِينِ مَعَ الصَّبْرِ
فَهَذَا نَعِيمُ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتَ فَاهِمًا ... وَتَعَقَّلْ عَنْ مَوْلَاكَ آدَابَ مَنْ يَدْرِي
فَمَا عَرَّسُوا إِلَّا بقُرْبِ حَبِيبِهِمْ ... وَلَا عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤْسٍ وَلَا ضُرِّ
أُدِيرَتْ كُؤُوسٌ لِلْمَنَايَا عَلَيْهِمْ ... فَغَفَوْا عَنِ الدُّنْيَا كَإِغْفَاءِ ذِي سُكْرِ

هُمُومُهم جَالَتْ لَدَى حُجُبِ العُلَى وَهُـمْ أَهْـلُ وُدِّ اللهِ كـالْأَنْجُمِ الزُّهْـرِ
فَـلَا عَـيْشَ إِلَّا مَـعَ أُنَـاسٍ قُلُـوبُهُم تَحِـنُّ إِلَـى التَّقْـوَى وَتَرْتَـاحُ لِلـذِّكْرِ

زوّجه ابنته بسبب ورعه

* وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْعُبَّادِ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ أَسِيرُ، وَكُنْتُ صَائِمًا، فَرَأَيْتُ نَهَرًا جَارِيًا، فَانْغَمَسْتُ فِيهِ، فَإِذَا أَنَا بِسَفَرْجَلَةٍ (نَوْعٌ مِنَ الْفَاكِهَةِ) عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، فَأَخَذْتُهَا لِأُفْطِرَ عَلَيْهَا.

قَالَ: فَلَمَّا أَفْطَرْتُ عَلَيْهَا نَدِمْتُ، وَقُلْتُ: أَفْطَرْتُ عَلَى مَا لَيْسَ لِي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ سِرْتُ، فَضَرَبْتُ عَلَى بَابِ الْبُسْتَانِ الَّذِي كَانَ النَّهَرُ يَخْرُجُ مِنْهُ، فَخَرَجَ إِلَيَّ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا شَيْخُ، إِنَّه خَرَجَ مِنْ بُسْتَانِكُمْ هَذَا بِالْأَمْسِ سَفَرْجَلَةٌ، فَأَخَذْتُهَا وَأَكَلْتُهَا، وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى ذَلِكَ، فَعَسَى أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ.

فَقَالَ لِي: أَمَّا أَنَا فِي هَذَا الْبُسْتَانِ أَجِيرٌ، وَلِي فِيهِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا ذُقْتُ مِنْ فَاكِهَتِهِ شَيْئًا قَطُّ، وَلَيْسَ لِي فِي الْبُسْتَانِ شَيْءٌ.

قُلْتُ: لِمَنْ هُوَ؟ قَالَ: لِأَخَوَيْنِ بِالْمَوْضِعِ الْفُلَانِي.

قَالَ: فَأَتَيْتُ الْمَوْضِعَ، فَوجَدْتُ أَحَدَهُمَا، [فَقَصَصْتُ] عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَقَالَ: نِصْفُ الْبُسْتَانِ لِي، وَأَنْتَ حِلٌّ مِنْ نَصِيبِي فِي تِلْكَ السَّفَرْجَلَةِ.

فَقُلْتُ لَهُ: وَأَيْنَ أَجِدُ أَخَاكَ؟ قَالَ: بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا.

فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ، [وَقَصَصْتُ] عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِي: وَاللهِ لَا أَجْعَلُكَ فِي حِلٍّ إِلَّا بِشَرْطٍ. فَقُلْتُ: وَمَا الشَّرْطُ؟ قَالَ: أُزَوِّجُكَ ابْنَتِي وَأُعْطِيكَ مِائَةَ دِينَارٍ.

قَالَ لَهُ الْعَابِدُ: وَيْحَكَ أَنَا فِي شُغْلٍ عَنْ هَذَا. أَمَا رَأَيْتَ مَا أَصَابَنِي لِأَجْلِ سَفَرْجَلَتِكَ؟ فَاجْعَلْنِي فِي حِلٍّ.

فَقَالَ لَهُ: وَاللهِ مَا فَعَلْتُ إِلَّا بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ.

فَلَمَّا رَأَى الْعَابِدُ مِنْهُ الجِدَّ، امْتَثَلَ، وَقَالَ: أَفْعَلُ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِينَارٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَعْطِنِي مِنْهَا مَا شِئْتَ مَهْرَ ابْنَتِي، فَرَمَى بِهَا كُلِّهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: لَا، إِلَّا الْبَعْضَ.

قَالَ: فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ؛ فَلَامَهُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا له: خَطَبَ ابنتَكَ أَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَكُبَرَاءُ النَّاسِ، وَلَمْ تُعْطِهَا لَهُمْ، فَكَيْفَ أَعْطَيْتَهَا لِفَقِيرٍ لَا مَالَ لَهُ؟!

فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، إِنَّما رَغِبْتُ فِي الْوَرَعِ وَالدِّينِ؛ لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

موعظة

يَا مَنْ عَمِيَ عَنْ طَرِيقِ الْقَوْمِ، عَلَيْكَ بِإِصْلَاحِ نُورِ الْبَصَرِ.

الْقَلْبُ الْمُظْلِمُ يَمْشِي فِي شَوْكِ الشَّكِّ وَمَا عَنْهُ خَبَرٌ.

وَقْتُ التَّائِبِ كُلُّهُ عَمَلٌ: نَهَارُهُ صَوْمٌ، وَلَيْلُهُ سَهَرٌ، وَوَقْتُ البَطَّالِ كُلُّهُ غَفْلَةٌ، وَبَصِيرَتُهُ عَمِيَتْ عَنِ النَّظَرِ. مَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الزُّهْدِ، اسْتَحْلَى التَّهَجُّدَ وَالسَّهَرَ، إِنْ لَمْ تُدْرِكِ الْمُتَهَجِّدِينَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَفِي أَعْقَابِ السَّحَرِ. تَيَقَّظْ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ، فَهَذَا فَجْرُ الْمَشِيبِ انْفَجَرَ، وَا ذِلَّةَ التَّخَلُّفِ إِذَا تَخَلَّفَ عَنِ الْبَابِ وَمَا حَضَرَ!

* وَأَنْشَدُوا:

لَقَدْ وَرَدَ التُّقَاةُ فَمَا وَرَدْنَا ... فَهِمْنَا وَالِهِينَ ومَا فَهِمْنَا

أَحِبَّتَنَا بِطِيبِ الْوَصْلِ جُودُوا ... فَغَيْرُ الْجُودِ مِنْكُمْ مَا عَرَفْنَا

فَإِنْ جُدْتُم فَعَفْوكُمْ رَجَوْنَا ... وَبَابُكُمُ الْكَرِيمُ بِهِ وَقَفْنَا

تَذَلَّلْنَا بِبَابِكُمْ عَسَاكُمْ ... بِلُطْفِ جَنَابِكُمْ فَارْضَوا عَلَيْنَا

وَحَقِّكُمْ لَقَدْ جِئْنَا حِمَاكُمْ ... وَآوَيْنَا لَكُمْ لَكِنْ طُرِدْنَا

وحَالَتْ بَيْنَنَا حُجُبُ الْمَعَاصِي ... وَلَوْلَا الذَّنْبُ عَنْكُمْ مَا حُجِبْنَا

وَمَا كَانَ النَّوَى وَالبُعْدُ مِنْكُمْ ... وَلَكِنَّ أَصْلَهُ مِمَّا اقْتَرَفْنَا

فَتَحْتُمْ بَابَ جُودِكُمْ امْتِنَانًا ... عَلَيْنَا بَعْدَ جُرْمٍ كَانَ مِنَّا

فَلَمْ نَصْلُحْ لِقُرْبِكُمْ وَلَكِنْ ... أَسَأْنَا ثُمَّ تُبْنَا ثُمَّ عُدْنَا

وَعَامَلْنَاكُمْ بِالْعَدْلِ دَهْرًا ... وَعَاهِدْنَاكُمْ زَمَنًا فَخُنَّا

وَلَمْ يُنْقَضْ لَكُمْ عَهْدٌ وَلَكِنْ ... عَلَيْنَا قَدْ نَقَضْنَا مَا نَقَضْنَا

طُرِدْنَا بِالجَرَائِمِ عَنْ رِضَاكُمْ ... وَلَوْ كُنَّا لَهُ أَهْلًا قُبِلْنَا

وَأَقْرَرْنَــــا بِزِلَّتِنَــــا لَــــدِيْكُمْ ... فَجُــــودُوا بِالرِّضَــــا إِنِ اعْتَرَفْنَــــا
وَمَــنْ يَرْجُــو الْعَبِيــدُ سِــوَى الْمَــوَالِي ... فَــــأَنْتُمْ رَاحِمُونَــــا كَيْـــفَ كُنَّــــا
وَهَــلْ فِــي غَيْــرِكُمْ عَــنْكُمْ بَــدِيلٌ ... وَهَــــلْ لَــــوْلَاكُمُ لِلْحَــــقِّ مَعْنَــــى
فَمَــا أَشْــهَى وِصَــالَكُمُ وَأَحْلَــى ... وَمَــــا أَعْلَــــى مَقَــــامَكُمُ وَأَسْــــنَى
فَعِزَّتُنَــــا تَــــذَلُّلُنَا إِلَــــيْكُمْ ... وَأَشْــرَفُ حَالِنَــا لَكُــمُ إِنْ خَضَــعْنَا

الْفَصْلُ الثَّالِثَ عَشَرَ

يَا هَذَا، كَمْ لَكَ عَلَى المَعَاصِي مُصِرٌّ؟ مَتَى يَكُونُ مِنْكَ المَتَابَ؟ جِسْمُكَ بِاللَّهْوِ عَامِرٌ، وَقَلْبُكَ مِنَ التَّقْوَى خَرَابٌ، ضَيَّعتَ الشبابَ فِي الْغَفْلَةِ، وَعِنْدَ الْكِبَر تَبْكِي عَلَى زَمَانِ الشَّبابِ.

فِي الْمَجْلِسِ تَبْكِي عَلَى الْفَائِتِ، وَإِذَا خَرَجْتَ عُدْتَ لِلانْتِهَابِ. لَا حِيلَةَ لِوَعْظِي فِيكَ وَقَدْ غُلِقَ فِي وَجْهِكَ الْبَابُ.

كَمْ لِي أُحدِّثُ قَلْبَكَ، وَأَرَى قَلْبَكَ غَائِبًا مَعَ الْغُيَّابِ، يَا مَنْ قَلْبُهُ مَشْغُولٌ، كَيْفَ تَفْهَمُ الْخِطَابَ؟

وَافَرْحَةَ إِبْلِيسَ إِذَا طُرِدْتَ عَنِ الْبَابِ! هَذَا مَأْتَمُ الْحُزَّانِ، هَذَا الْمَجْلِسُ قَدْ طَابَ. رَحَلَتْ رِفَاقُ التَّائِبِينَ إِلَى رِفَاقِ الْأَحْبَابِ. يَا وَحْشَةَ الْمَهْجُورِ الْمُبْعَدِ عَنِ الْبَابِ إِذَا لَمْ يَجِدْ لِلْقُرْبِ وَالدُّنُوِّ سَبَبًا مِنَ الْأَسْبَابِ.

يَا مُنْقَطِعًا عَنِ الرِّفَاقِ الْأَحْبَابِ، تَعلَّقْ بِأَعْقَابِ السَّاقَةِ بِذُلٍّ وانْكِسَارٍ وَدَمْعٍ ذِي انْسِكَابٍ، وَقُلْ: تَائِهٌ فِي بَرِّيَّةِ الْحِرْمَانِ، مَقْطُوعٌ فِي تِيهِ الشَّقَاءِ، مَسْبُولٌ دُونَهُ الْحِجَابُ، كُلَّمَا رَامَ الْقِيَامَ أَقْعَدَهُ وَأَبْعَدَهُ بِذُنُوبِهِ الحُجَّابُ، لَا زادَ وَلَا رَاحِلَةَ وَلَا قُوَّةَ، فَأَيْنَ الذَّهَابُ؟ عَسَى [نَفْحَةٌ] مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ الْغَيْبِ تُهوِّنُ عَلَيْكَ صِعَابَ المُصَابِ.

* وَأَنْشَدُوا:

يَا رِجَالَ اللَّيْلِ مَهْلاً عَرِّسُوا ... إِنَّنِي بِالنَّوْمِ عَنْكُمْ مُشْتَغِلْ
شَغَلَتْنِي عَنْكُمُ النَّفْسُ الَّتِي ... تَقْطَعُ اللَّيْلَ بِنَوْمٍ وَكَسَلْ
أَنَا بَطَّالٌ وَأَنْتُمْ رُكَّعٌ ... زَادَ تَفْرِيطِي وَزِدْتُمْ فِي العَمَلْ
قُلْتُ مَهْلاً سَادَتِي أَهْلَ الْوَفَا ... حَمَلَ الْقَوْمُ وَقَالُوا لَا مَهَلْ

* قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: أَنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ مَعِي فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ، فَكُنْ وَحِيدًا فِي الدُّنْيَا، فَرِيدًا مَهْمُومًا حَزِينًا، كَالطَّيْرِ الْوَحِيدِ يَظَلُّ فِي أَرْضِ الْفَلَاةِ، يَرِدُ مَاءَ الْعُيُونِ، وَيَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِ الشَّجَرِ، فَإِذَا جَنَّ عَلِيهِ اللَّيْلُ، آوَى وَحْدَهُ اسْتِيحَاشًا مِنَ الطَّيْرِ، وَاسْتِئْنَاسًا لِرَبِّهِ.

كم مرة تذكر الموت؟

* ويُرْوَى عَنْ سُفْيَانِ الثَّوْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ عَابِدٌ بِرَاهِبٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَاهِبُ، كَيْفَ ذِكْرُكَ لِلْمَوْتِ؟

قَالَ: مَا أَرْفَعُ قَدَمًا وَلَا أَضَعُ أُخْرَى، إِلَّا خَشِيتُ أَنْ قَدْ مِتُّ.

* أَنْشَدَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الزُّهْدِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ:

وَيَوْمَ تَرَى الشَّمْسَ قَدْ كُوِّرَتْ ... وَفِيهِ تَرَى الْأَرْضَ قَدْ زُلْزِلَتْ
وَفِيهِ تَرَى كُلُّ نَفْسٍ غَدًا ... إِذَا حُشِرَ النَّاسُ مَا قَدَّمَتْ
أَتَرْقُدُ عَيْنَاكَ يَا مُذْنِبًا ... وَأَعْمَالُكَ السُّوءِ قَدْ دُوِّنَتْ
فَإِمَّا سَعِيدٌ إِلَى جَنَّةٍ ... وَكفَّاهُ بِالنُّورِ قَدْ خُضِّبَتْ
وَإِمَّا شَقِيٌّ كُسِيَ وَجْهُهُ ... سَوَادًا وَكفَّاهُ قَدْ غُلِّلَتْ

عمر بن عبد العزيز وشدة الحرّ

* خَرَجَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْحَرُّ عَلَيْهِ، دَعَا بِعِمَامَةٍ فَتَعَمَّمَ بِهَا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَعَهَا (أَيْ: خَلَعَها)، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ نَزَعْتَهَا؟ لَقَدْ كَانَتْ تَقِيكَ الْحَرَّ.

قَالَ: ذَكَرْتُ أَبْيَاتًا قَالَها الْأَوَّلُ، وَهِي هَذِهِ:

مَنْ كَانَ حِينَ تَمَسُّ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ ... أَوِ الْغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنَ والشَّعَثَا
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَي تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدَثا[1]

---

(١) أي قَبْرًا، وجمع جَدَث: أجداث.

فِـي قَعْـرِ مُظْلِمَـةٍ غَبْـرَاءَ مُوحشَـةٍ يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَى فِي جَوْفِهَا اللَّبْثَا

* وَقَدْ خَرَجَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْحَوَارِيينَ وَعَلَيْهِمْ آثَارُ الْغُبَارِ، وَعَلَى وُجُوهِهِمُ النُّورُ، فَقَالَ: يَا بَنِي الْآخِرَةِ، مَا تَنَعَّمَ الْمُتَنَعِّمُونَ إِلَّا بِفَضْلِ نِعْمَتِكُمْ.

* وَقِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ أَحْسَنُ النَّاسِ وُجُوهًا؟ فَقَالَ: خَلَوا بِالرَّحْمَنِ، فَأَلْبَسَهُمْ نُورًا مِنْ نُورِهِ.

عبادة مالك بن دينار

* قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ حَبِيبٍ: كُنْتُ أَسْمَعُ بِمُجَاهَدَةِ الْمُحِبِّينَ، وَمُنَاجَاةِ الْعَارِفِينَ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَصَدْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ، فَرَمَقْتُهُ عَلَى غَفْلَةٍ وَرَاقَبْتُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَيَالِيَ عِدَّةً، فَكَانَ يَتَوَضَّأُ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَتَارَةً يُفْنِي (أَيْ: يُنْهِي) لَيْلَةً فِي تَكْرَارِ آيَةٍ أَوْ آيَتَيْنِ، وَتَارَةً يُدْرِجُ الْقُرْآنَ دَرْجًا (أَيْ: يُسْرِعُ فِي الْقِرَاءَةِ)، فَإِذَا سَجَدَ وَحَانَ انْصِرَافُهُ مِنْ صَلَاتِهِ، قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَخَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ، وَجَعَلَ يَقُولُ بِحَنِينِ الثَّكْلَى وَأَنِينِ الْوَلْهَى: يَا إِلَهِي، وَيَا مَالِكَ رِقِّي، وَيَا صَاحِبَ نَجْوَايَ، وَيَا سَامِعَ شَكْوَايَ، سَبَقْتَ بِالْقَوْلِ تَفَضُّلًا وَامْتِنَانًا، فَقُلْتُ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، والمُحِبُّ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ، فَحَرِّمْ شَيْبَةَ مَالِكٍ عَلَى النَّارِ.

إِلَهِي قَدْ عَلِمْتَ سَاكِنَ الْجَنَّةِ مِنْ سَاكِنِ النَّارِ، فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ مَالِكٌ؟ وَأَيُّ الدَّارَيْنِ دَارُ مَالِكٍ؟

ثُمَّ يُنَاجِي كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَيُصَلِّي الصُّبْحَ بِوُضُوءِ الْعَتَمَةِ (أَيِ: الْعِشَاءِ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

أقسام الناس في القرب إلى الله

* قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: الرِّجَالُ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: رَجُلٌ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى قَلْبِهِ عَظَمَةُ اللهِ وَمَحَبَّتُهُ، فَاشْتَغَلَ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَاهُ، وَلَمْ تُلْهِهِ الْأَكْوَانُ عَنِ الِاسْتِئْنَاسِ بِذِكْرِهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقَالَ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

وَالثَّانِي: رَجُلٌ عَاهَدَ اللهَ تَعَالَى بِصِدْقِ الْإِجَابَةِ، وَتَحقُّقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَإِخْلَاصِ الْوَرَعِ، وَالْقِيَامِ بِالْوَفَاءِ، فَهُوَ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ يَتكَلَّمُ للهِ، وَفِي اللهِ، وَبِاللهِ، وَمِنْ أَجْلِ اللهِ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ [يس: ٢٠].

وَالرَّابِعُ: رَجُلٌ يَتكَلَّمُ سِرُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ الْمَلَكَيْنِ الْمُوَكَّلَيْنِ، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهُ إِلَّا مَوْلَاهُ، وَهُوَ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فَهَذَا هُوَ فِي ظَاهِرِه كَالسَّلِيِّ الخَلِيِّ (أَيِ: الْمَسْرُورِ)، وَفِي بَاطِنِهِ كَالْمُتَوَلِّي الشَّجِيِّ (أَيِ: الْحَزِينِ).

الْفَصْلُ الرَّابِعَ عَشَرَ

يَا مَنْ أَقْعَدَهُ الْحِرْمَانُ، هَذِهِ رِفَاقُ التَّائِبِينَ عَلَيْكَ عُبُورٌ. لَا رِسَالَةَ دَمْعٍ وَلَا نَفْسَ آسِفٍ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مَهْجُورًا. هَذَا نَذِيرُ الشَّيْبِ يُنْذِرُ بِالرِّحْلَةِ تَهَيَّأْ لَهَا يَا مَنْذُورُ. كَمْ أَعْذَارٍ، كَمْ كَسَلٍ، كَمْ غَفْلَةٍ، مَا أَجِدُكَ يَوْمَ الْحِسَابِ مَعْذُورًا.

بَيْتُ وَصْلِكَ خَرَابٌ، وَبَيْتُ هَجْرِكَ مَعْمُورٌ. بَادِرْ عَسَاكَ تُجبَرُ بِالتَّوْبَةِ وتَعُودُ مَجْبُورًا، سَجْدَةٌ وَاحِدَةٌ وَاصِلْ بِهَا السَّحَرَ وَتَنْجُو مِنَ الْأَهْوَالِ، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد ١٥].

للهِ دَرُّ أَقْوَامٍ قُلُوبُهُمْ مَعْمُورَةٌ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ، لَيْسَ فِيهَا لِغَيْرِهِ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ، إِنْ نَطَقُوا فَبِذِكْرِهِ، وَإِنْ تحرَّكُوا فَبِأَمْرِهِ، وَإِنْ فَرِحُوا فَبِقُرْبِهِ، وَإِنْ تَرِحُوا (أَيْ: حَزِنُوا) فَبِعَتْبِهِ، أَقْوَاتُهُمْ ذِكْرُ الْحَبِيبِ، وَأَوْقَاتُهُمْ بِالْمُنَاجَاةِ تَطِيبُ، لَا يَصْبِرُونَ عَنْهُ لَحْظَةً، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ فِي غَيْرِ رِضَاهُ بِلَفْظَةٍ.

قصة شيخ تنصَّر بسبب نظرة

* ذُكِرَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ رَجُلًا كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَكَانَ مِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا فَاضِلًا، وَأَرَادَ الْحَجَّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، فَأَلَّفَ (أَيْ: جَمَعَ) مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَقْرَؤُونَ عَلَيْهِ، فَارْتَبَطَ مَعَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَلَمَّا سَارُوا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، وَإِذَا بِدَيْرٍ نَصْرَانِيٍّ، وَقَدْ أَعْيَاهُمُ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ، فَقَالُوا: يَا أُسْتَاذَنَا، نَسِيرُ لِهَذَا الدَّيْرِ، فَنَسْتَظِلُ حَتَّى يَبْرُدَ النَّهَارَ، وَنَرْحَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُمْ: افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَسَارُوا إِلَى ذَلِكَ الدَّيْرِ، وَنَزَلُوا عِنْدَ جِدَارِهِ وَقَدْ أَصَابَهُمُ الْعِيَاءُ والْحَرُّ، فَنَامَ الطَّلَبَةُ، وَالشَّيْخُ لَمْ يَنَمْ.

قَالَ: فتَرَكَهُمُ الشَّيْخُ نَائِمِينَ، وَخَرَجَ يَطْلُبُ مَاءً لِوُضُوئِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا

ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي فِي حَوْمَةِ الدَّيْرِ يَطْلُبُ الْمَاءَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَأَى جَارِيَةً صَغِيرَةَ السِّنِّ، كَأَنَّهَا الشَّمْسُ الضَّاحِيَةُ، فَلَمَّا رَآهَا الشَّيخُ تمكَّنَ إِبْلِيسُ مِنْ قَلْبِهِ، وَنَسِيَ الْوُضُوءَ وَالْمَاءَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا الْجارِيَةُ، فَأَقْبَلَ يَقْرَعُ الْبَابَ قَرْعًا عَنِيفًا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَاهِبٌ وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ لَهُ: أَنَا فُلانٌ الْعَالِمُ الفُلَانِي، وَعَرَّفَهُ بِنَفْسِهِ وَاسْمِهِ.

فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا تُرِيدُ يَا فَقِيهَ الْمُسْلِمِينَ؟

قَالَ لَهُ: يَا رَاهِبُ، هَذِهِ الصَّبِيَّةُ الَّتِي بَدَتْ مِنْ أَعْلَى الدَّيْرِ، مَا هِي مِنْكَ؟

قَالَ الرَّاهِبُ: هِي ابْنَتِي، فَمَا سُؤَالُكَ عَنْهَا؟

قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: أُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَنِي إِيَّاهَا.

قَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِنْ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ عِنْدَنَا فِي دِينِنَا، وَلَوْ كَانَ جَائِزًا؛ لَكُنْتُ أُزَوِّجُهَا مِنْكَ بِغَيْرِ مَشُورَتِهَا؛ وَلَكِنْ قَدْ جَعَلْتُ لَهَا عَلَى نَفْسِهَا عَهْدًا، أَنْ لَا أُزَوِّجُهَا إِلَّا مَنْ تَرْضَى لِنَفْسِهَا؛ وَلَكِنْ أَنَا أَدْخُلُ عَلَيْهَا وَأُعْلِمُهَا بِخَبَرِكَ، فَإِنْ هِي رَضِيَتْكَ لِنَفْسِهَا، زَوَّجْتُكَ مِنْهَا.

قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: حُبًّا وَكَرَامَةً.

قَالَ: فَذَهَبَ الرَّاهِبُ إِلَى ابْنَتِهِ، فَأَعْلَمَهَا بِالقِصَّةِ، وَالشَّيْخُ يَسْمَعُ.

فَقَالَتْ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تُزَوِّجُنِي مِنْهُ؟ وَأَنَا عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَهُو عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَدْخُلَ فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ.

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ، قَالَ لَهَا الرَّاهِبُ: أَرَأَيْتِ إِنْ دَخَلَ فِي دِينِكِ، تَتَزَوَّجِينَهُ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

وَالشَّيْخُ الْعَالِمُ فِي هَذَا كُلِّهِ يَتَضَاعَفُ بِهِ الْأَمْرُ، وَإِبْلِيسُ يُزَيِّنُهَا فِي عَيْنَيْهِ، وَأَصْحَابُهُ رُقودٌ، لَيْسَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِمَا حَلَّ بِهِ.

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ، أَقْبَلَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ وَقَالَ لَهَا: قَدْ نَبَذْتُ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَدَخَلْتُ فِي دِينِكِ.

قَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ: هَذَا زَوَاجٌ قَدَرِيٌّ؛ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِيَّةِ وَدَفْعِ الْمَهْرِ، وَأَيْنَ الْحَقُّ؟ وَأَرَاكَ رَجُلًا فَقِيرًا؛ وَلَكِنْ أَقْبَلُ مِنْكَ فِي حَقِّي أَنْ تَرْعَى هَذِهِ الْخَنَازِيرَ عَامًا كَامِلًا، وَيَكُونُ ذَلِكَ صَدَاقِي.

قَالَ لَهَا: نَعَمْ، لَكِ ذَلِكَ؛ وَلَكِنْ أَشْتَرِطُ عَلَيْكِ أَنْ لَا تَحْجِبِي وَجْهَكِ عَنِّي؛ لِأَنْظُرَ إِلَيْكِ غَدْوَةً وَعَشِيًّا.

قَالَتْ: نَعَمْ.

فَأَخَذَ عَصَاهُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عَلَيْهَا، وَأَقْبَلَ بِهَا عَلَى الْخَنَازِيرِ، يَزْجُرُهَا لِتَمْشِيَ لِلْمَرْعَى.

وَجَرَى هَذَا كُلُّهُ وَأَصْحَابُهُ نِيَامٌ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا مِنْ نَوْمِهِمْ طَلَبُوا الشَّيْخَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَسَأَلُوا عَنْهُ الرَّاهِبَ، فَأَعْلَمَهُمْ بِالْقِصَّةِ.

قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَكَى وَنَاحَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَسَّفَ عَلَى مَا حَلَّ بِهِ.

ثُمَّ قَالُوا لِلرَّاهِبِ: وَأَيْنَ هُوَ؟! قَالَ لَهُمْ: يَرْعَى الْخَنَازِيرَ.

قَالَ: فَمَضَيْنَا إِلَيْهِ، فَوَجَدْنَاهُ مُتكِئًا عَلَى عَصَاهُ الَّتِي كَانَ يَخطُبُ عَلَيْهَا وَهُوَ يَزْجُرُ بِهَا الْخَنَازِيرَ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا سَيِّدَنَا، مَا هَذَا الْبَلَاءُ الَّذِي حَلَّ بِكَ؟! وَجَعَلْنَا نُذَكِّرُهُ فَضَلَ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ، وَفَضْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَرَأْنَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.

فَقَالَ لَنَا: إِلَيْكُمْ عَنِّي، فَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا تُذَكِّرُونَنِي بِهِ مِنْكُمْ؛ وَلَكِنْ قَدْ نَزَلَ بِي الْبَلَاءُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ: فَكُلَّمَا عَالَجْنَاهُ لِيَسِيرَ مَعَنَا، مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، فَمَضَيْنَا إِلَى مَكَّةَ وَتَرَكْنَاهُ، وَفِي قُلُوبِنَا مِنْهُ حَسْرَةٌ.

وَقَضَيْنَا حَجَّنَا وَرَجَعْنَا نُرِيدُ بَغْدَادَ، فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَقُلْنَا: تَعَالُوا نَنْظُرُ مَا فَعَلَ الشَّيْخُ، لَعَلَهُ نَدِمَ وَتَابَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ.

قَالَ: فَذَهَبْنَا إِلَيْهِ، فَوَجَدْنَاهُ عَلَى حَالَتِهِ، وَهُوَ يَزْجُرُ الْخَنَازِيرَ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَذَكَّرْنَاهُ، وَقَرَأْنَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَمَا رَدَّ عَلَيْنَا شَيْئًا، فَانْصَرَفْنَا عَنْهُ وَفِي قُلُوبِنَا مِنْهُ حَسْرَةٌ عَظِيمَةٌ.

قَالَ: فَلَمَّا صِرْنَا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الدَّيْرِ، وَإِذَا نَحْنُ بِسَوَادٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْنَا مِنْ نَاحِيَةِ الدَّيْرِ، وَهُوَ يَصِيحُ عَلَيْنَا، فَوَقَفْنَا لَهُ، فَإِذَا هُو صَاحِبُنَا الشَّيْخُ قَدْ لَحِقَ بِنَا، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَا قَدْ تُبْتُ إِلَى اللهِ، وَرَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ فِيهِ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ ذَنْبٍ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنِ رَبِّي عَاقَبَنِي بِهِ، فَكَانَ مِنَ الْبَلاءِ مَا رَأَيْتُمْ.

قَالَ: فَسُرِرْنَا بِذَلِكَ غَايَةَ السُّرُورِ، وَجِئْنَا إِلَى بَغْدَادَ، وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِاجْتِهَادِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي دَارِ الشَّيْخِ نَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَإِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ قَدْ قَرَعَتِ الْبَابَ، فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا وَقُلْنَا لَهَا: مَا حَاجَتُكِ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ؟

قَالَتْ: أُرِيدُ الشَّيْخَ، وَقُولُوا: إِنَّ فُلَانَةَ بِنْتَ فُلَانٍ الرَّاهِبِ قَدْ جَاءَتْ لِتُسْلِمَ عَلَى يَدَيْكَ، فَأَذِنَ لَهَا بِالدُّخُولِ، فَدَخَلَتْ، وَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي جِئْتُ لِأُسْلِمَ عَلَى يَدَيْكَ.

فَقَالَ لَهَا الشَّيْخُ: وَمَا كَانَتِ الْقِصَّةُ؟

قَالَتْ لَهُ: لَمَّا وَلَّيتَ عَنِّي، غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فَنِمْتُ، فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا دِينَ إِلَّا دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ لِي ذَلِكَ

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ: مَا كَانَ اللهُ لِيَبْتَلِيَ بِكِ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ. وَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَفَرِحَ الشَّيْخُ بِذَلِكَ، حَيْثُ مَنَّ اللهُ عَلَيْهَا بِدِينِ الْإِسْلَامِ عَلَى يَدَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا عَلَى كَلِمَةِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

سبب ابتلاء الله لهذا الشيخ

قَالَ: فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ.

قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا مَاشِيًا فِي بَعْضِ الأَزِقَّةِ، وإِذَا بِرَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ قَدْ لَصِقَ بِي، فَقُلْتَ لَهُ: ابْتَعِدْ عَنِّي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ. فَقَالَ: وَلِمَ؟ قُلْتُ لَهُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ.

فَالْتَفَتَ النَّصْرَانِيُّ، وَقَالَ: مَا يُدْرِيكَ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي؟ وَهَلْ تَدْرِي مَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى حَتَّى تَقُولَ هَذَا الْكَلَامَ؟

وَقَدْ بَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ النَّصْرَانِيَّ قَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَلَزِمَ الْعِبَادَةَ، فَعَاقَبَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُمْ.

نَسَأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

الْفَصْلُ الْخَامِسَ عَشَرَ

موعظة

مَعَاشِرَ التَّائِبِينَ، تَعَالَوْا نَبْكِي عَلَى الذُّنُوبِ فَهَذَا مَأْتَمُ الْحُزَّانِ، تَعَالَوْا نَسْكُبُ الْمَدَامِعَ، وَنَشْتَكِي الهِجْرَانَ، لَعَلَّ زَمَانَ الْوِصَالِ يَعُودُ كَمَا كَانَ.

هَذَا بَيَاضُ الشَّيْبِ يُنْذِرُ بِخَرَابِ الْأَوْطَانِ، يَا مَنْ تَخَلَّفَ حَتَّى شَابَ، وَقَدْ رَحَلَتِ الْأَظْعَانُ (هِيَ الْهَوَادِجُ؛ كَانَ فِيهَا نِسَاءٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ).

يَا تَائِهًا فِي تِيهِ التَّخَلُّفِ، يَا حَائِرًا فِي بَرِّيَّةِ الْحِرْمَانِ، نَهَارُكَ فِي الْأَسْبَابِ، وَلَيْلُكَ فِي الرُّقَادِ، هَذِهِ الْخَسَارَةُ عِيَانٌ، إِذَا وَلَّى الشَّبَابُ وَلَمْ يَرْبَحْ، فَفِي الْمَشِيبِ يَكُونُ الخُسْرَانُ، أَمَلُكَ طَوِيلٌ بَعِيدٌ، وَرُبَّمَا هُيِّئَتْ لَكَ الأَكْفَانُ.

قِفْ عَلَى سَاحِلِ التَّوْبَةِ، فَبِحَارُ الْمَعَاصِي طُوفَانٌ، ضَيَّعْتَ رَبِيعَ الشَّبَابِ حَتَّى ذَبُلَ مِنْ مَعَاصِي الرَّحْمَنِ، فَعِنْدَ إِقْبَالِ الْمَشِيبِ، نَدِمْتَ عَلَى مَا قَدْ كَانَ. إِنْ لَمْ يُشَاهِدْكَ رَفِيقُ التَّوْفِيقِ، وَإِلَّا فَفِي الْحِرْمَانِ حِرْمَانٌ. وَقَدْ يَرْحَمُ الْمَوْلَى مَنْ ضَعُفَ عَنِ الْأَسْبَابِ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ **[الرعد ٣٩]**.

* وَأَنْشَدُوا:

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا ... بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ مَقِيلٌ ... لِمَنْ كُلَّ يَوْمٍ يَقْتَفِيهِ رَحِيلُ

موعظة الحسن البصري

* وَيُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّ لَكَ عَاجِلًا وَعَاقِبَةً، فَلَا تُؤْثِرْ عَاجِلَتَكَ عَلَى عَاقِبَتِكَ، فَقَدْ -وَاللهِ- رَأَيْتُ أَقْوَامًا آثَرُوا عَاجِلَتَهُمْ عَلَى عَاقِبَتِهِمْ، فَهَلَكُوا وَذُلُّوا وَافْتُضِحُوا.

يَا ابْنَ آدَمَ بِعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبَحْهُمَا جَمِيعًا، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فَتَخْسَرْهُمَا جَمِيعًا.

يَا ابْنَ آدمَ لَا يَضُرُّكَ مَا أَصَابَكَ مِنْ شِدَّةِ الدُّنْيَا إِذَا ادُّخِرَ لَكَ خَيْرُ الْآخِرَةِ، وَهُلْ يَنْفَعُكَ مَا أَصبْتَ مِنْ رَخَائِهَا إِذَا حُرِمْتَ مِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ؟!

يَا ابْنَ آدَمَ الدُّنْيَا مَطِيَّةٌ، إِنْ رَكِبْتَهَا حَمَلَتْكَ، وَإِنْ حَملتَهَا قَتَلَتْكَ.

يَا ابْنَ آدمَ إِنَّكَ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِكَ، وَآتٍ عَلَى أَجَلِكَ، ومَعْرُوضٌ عَلَى رَبِّكَ، فَخُذْ مِمَّا فِي يَدِيْكَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ يَأْتِيكَ الْخَبَرُ.

يَا ابْنَ آدمَ لَا تُعَلِّقْ قَلْبَكَ بِالدُّنْيَا فَتُعَلِّقُهُ بِشَرٍّ مُتعَلَّقٍ، حَسْبُكَ أَيُّهَا الْمَرْءُ مَا بَلَّغَكَ الْمَحَلَّ.

مالك بن دينار والجارية الحسناء

* وَيُرْوَى عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ مَاشِيًا فِي بِعْضِ أَزِّقَّةِ الْبَصْرَةِ، إِذَا هُوَ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِي الْمَلِكِ رَاكِبَةً وَمَعَهَا الْخَدَمُ وَالْمَمَالِيكُ، فَسِمعَ مَالِكٌ حِسَّهَا خَلْفَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا وَهِي رَاكِبَةٌ، فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَهَيْأَتَهَا وَحالَهَا، فَنَادَى: أَيَّتُهَا الْجَارِيَةُ هَلْ يَبِيعُكَ مَوْلَاكِ؟!

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَتْ مِنْهُ تِلْكَ الْكَلِمَةَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ، فَرَأَتْ عَبَاءَةً خَلِقَةً بَالِيَةً (أَيْ: قَدِيمَةً)، وَلَهُ هَيْأَةٌ حَسَنَةٌ وَتَوَاضعٌ وَسَكِينَةٌ للهِ عَزَّ وَجَّل.

فَقَالَتْ لِلْخَدَمِ: أَمسِكُوا مَطِيَّتِي (أَيْ: دَابَتِي) فَمَسَكُوهَا، فَرَدَّتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا شَيْخُ، أَعِدْ عَلَيَّ مَقَالَتَكَ. قَالَ: قُلْتُ هَلْ يَبِيعُكِ مَوْلَاكِ؟ قَالَتْ: وَيْلِي عَلَيْكَ، وَهَلْ لِمِثْلِكَ مَا يَشْتَرِينِي بِهِ لَوْ بَاعَنِي؟!

قَالَ: فَحَفَّ بِهِ الْمَمَالِيكُ، قَالَ: خَلُّوا عَنِّي أَسِيرُ مَعَكُمْ، فَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى أَتَتْ قَصْرَهَا، فَقَامَ إِلَيْهَا حَجَبَةُ الدَّارِ فَأَنْزَلُوهَا، فَدَخَلَتْ، وَبَقِي مَالِكٌ بِبَابِ الْقَصْرِ؛ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَوْلَاهَا، فَقَالَتْ: يَا مَوْلَايَ، أَلَا أُحَدِّثُكَ بِعَجَبٍ؟!

قَالَ: وَمَا هُوَ يَا حَسَنَةُ؟

قَالَتْ: يَا مَوْلايَ لَقِيَنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ فَقِيرٌ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ رَثَّةٌ بَالِيَةٌ، فَنَظَرَ إِلَى حُسْنِي وَجَمَالِي وَبَهَائِي وَكَمَالِي وَمَمَالِيكِي، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ هَيْأَتِي، فَقَالَ: هَلْ يَبِيعُكِ مَوْلَاكِ؟ فَضَحِكَ مَوْلَاهَا مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهَا: وَأَيْنَ هُوَ وَيْلَكِ؟! قَالَتْ: قَدْ جِئْتُ بِهِ مَعِي، وَهَا هُوَ بِبَابِ الْقَصْرِ، فَقَالَ: أَدْخِلُوهُ عَلَيَّ.

فَدَخَلَ مَالِكٌ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الرَّجُلُ، فَلَمَّا وَقَفَ بِبَابِ مَجْلِسِهِ، إِذْ هُوَ بَيْتٌ مَمْلُوءٌ بِضُرُوبٍ مِنَ الْوَطْإِ، والْمُتَّكَإِ، وَإِذَا هُوَ بِصَاحِبِ الْقَصْرِ قَاعِدٌ عَلَى مَرْتَبَةٍ عَظِيمَةٍ، فَجَعَلَ مَالِكٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: مَا لَكَ؟ ادْخُلْ أَيُّهَا الشَّيْخُ.

فَقَالَ مَالِكٌ: لَا أَدْخُلُ حَتَّى تَرْفَعَ هَذَا الْوِطَاءَ، وتُغَيِّبَ عَنِّي فِتْنَتَهُ؛ حَتَّى لَا أَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلَا أَطَأُ شَيْئًا مِنْهُ.

فَأَلْقَى اللهُ الْهَيْبَةَ وَالطَّاعَةَ فِي قَلْبِ صَاحِبِ الْقَصْرِ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ الوِطَاءِ وَالبُسُطِ (أَيْ: الفُرُشِ)؛ حَتَّى كَشَفَ عَنِ الرُّخَامِ، وَقَعَدَ صَاحِبُ الْقَصْرِ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَقَالَ: اجْلِسْ أَيُّهَا الشَّيْخُ كَمَا أَحْبَبْتَ.

قَالَ: لَا، وَاللهِ حَتَّى تَنْزِلَ عَنْ هَذَا الْكُرْسِيِّ، وَتَجْلِسَ عَلَى هَذَا الْمَرْمَرِ (رُخَامٌ شَدِيدُ الصَّلَابَةِ وَالصَّفَاءِ).

قَالَ: فَجَلَسَ الرَّجُلُ، وَجَلَسَ مَالِكٌ مَعَهُ.

فَقَالَ رَبُّ الْبَيْتِ: قُلْ حَاجَتَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ.

قَالَ: جَارِيَتُكَ هَذِهِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْكَ السَّاعَةَ، أَتَبِيعُهَا لِي؟

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْقَصْرِ: وَهَلْ لَكَ مَا تَبْتَاعُهَا (أَيْ: الَّذِي تَشْتَرِيهَا) بِهِ مِنِّي؟!

قَالَ: وَمَا ثَمَنُهَا؟

قَالَ لَهُ: إِنَّ مِنْ شَأْنِها وَقَدْرِهَا وَحَالِهَا وَمَالِهَا، تُسَاوِي كَذَا وَكَذَا أَلْفًا.

فَقَالَ مَالِكٌ: وَاللهِ مَا تُسَاوِي عِنْدِي نَوَاتَيْنِ مُسَوسَتَيْنِ، فَضَحِكَ الرَّجُلُ، وَضَحِكَتِ الْجَارِيَةُ، وَضَحِكَ الْجَوَارِي وَالْخَدَمُ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ مِنْ كَلَامِ مَالِكٍ.

فَقَال مَالِكٌ: مَا الَّذِي أَضْحَكَكُمْ؟

قَالَ صَاحِبُ الْبَيْتِ: وَكَيْفَ كَانَ ثَمَنُهَا بِهَذِهِ الخَسَاسَةِ عِنْدَكَ؟

فَقَالَ مَالِكٌ: لِكَثْرَةِ عُيوبِهَا.

قَالَ: وَمَنْ أَعْلَمَكَ بِعُيُوبِهَا؟!

قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْ عُيُوبِهَا مَا لَمْ تَعْلَمْ أَنْتَ.

قَالَ: أَعْلِمْنِي بِهَا، وَأَوْقِفْنِي عَلَيْهَا.

قَالَ: إِنْ لَمْ تَتَعَطَّرْ تَغَيَّرَتْ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَكْ بَخِرَتْ (أَيْ: تُصْبِحُ رَائِحَةُ فَمِهَا كَرِيهَةً)، وَإِنْ لَمْ تَغْتَسِلْ بَظِرَتْ (لَعَلَ الْمُرَادَ: انْبَعَثَتْ رَائِحَةُ فَرْجِهَا)، وَإِنْ لَمْ تَمْتَشِطْ قَمِلَتْ وَشَعِثَتْ، وَإِنْ عُمِّرَتْ عَنْ قَلِيلٍ هَرِمَتْ وَهِي ذَاتُ بُخَارٍ، وَبُصَاقٍ، وحَيْضٍ، وبَوْلٍ، وَغَائِطٍ، وَأَقْذَارٍ جُمْلَةٍ، وَآفَاتٍ بَيِّنَةٍ، وَلَعَلَّهَا لَا تُرِيدُكَ إِلَّا لِنَفْسِهَا، وَلَا تُحِبُّكَ إِلَّا لِتَمَتُّعِهَا بِكَ، وَتَمَتُّعِكَ بِهَا، فَلَا تَفِي بِعَهْدِكَ، وَلَا تَصْدُقُ فِي وُدِّكَ وَعَهْدِكَ، وَلَا يَتَخَلَّفُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ بَعْدِكَ إِلَّا رَأَتْهُ مِثْلَكَ. وَأَنَا أَجِدُ بِدُونِ مَا سَأَلْتَ (أَيْ: بِدُونِ مَا طَلَبْتَ مِنَ الثَّمَنِ) جَارِيَةً خُلِقَتْ مِنْ سُلَالَةِ الْكَافُورِ، وَلَوْ مُزِجَ بِرِيقِهَا الْأُجَاجُ (أَيْ: الْمَاءُ الْمَالِحُ) لَطَابَ، وَلَوْ دُعِيَ مَيِّتٌ بِكَلَامِهَا لَأَجَابَ، وَلَوْ بَدَا مِعْصَمُهَا لِلْشَمْسِ لَأَظْلَمَتْ دُونَهُ، وَلَوْ بَرَزَ لِسَوَادِ اللَّيْلِ لَسَطَعَ نُورُهُ، وَلَوْ وَاجَهَتِ الْآفَاقَ بِحُلِيِّهَا وَحُلَلِهَا لَتَزَخْرَفَتْ، وَلَوْ نَفَخَ رِيحٌ ذَوَائِبَهَا عَلَى الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا لَتَعَطَّرَتْ، فَهِي الْعَطِرَةُ الشَّكِلَةُ الْمُغَنَّجَةُ (أَيِ: الْحَسِنَةُ الْمُدَلَّلَةُ) الْمُتَنَسِّقَةُ، الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِيَاضِ الْمِسْكِ وَالزَّعْفَرَانِ وَغَنِيَتْ بِمَاءِ التَّسْنِيمِ، فَلَا

يَكْسِفُ بالُهَا، وَلَا يَحُولُ حَالُهَا، وَلَا يُخْلَفُ عَهْدُهَا، وَلَا يَتَبَدَّلُ وُدُّهَا، وَلَا يُتَوَقَّعُ صَدُّهَا. فَأَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالرِّفْعَةِ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ؟!

قَالَ: الَّتِي -وَاللهِ- وَصَفْتَ، فَمَا ثمنُهَا رَحِمَكَ اللهُ؟!

قَالَ: الْيَسِيرُ الْمَبْذُولُ: أَنْ تَتَفَرَّغَ سَاعَةً مِنْ لَيْلِكَ؛ فَتَقُومُ فَتُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ تُخلِصُهُمَا لِرَبِّكَ،

وَأَنْ تَضَعَ طَعَامَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فتَذْكُرُ جَائِعًا، فَتُؤْثِرُهُ عَلَى شَهْوَتِكَ،

وَأَنْ تَخْطُوَ الطَّرِيقَ فَتَلْتَقِطُ مِنْهُ حَجَرًا وَمَدَرًا،

وَأَنْ تُحرِّكَ لِسَانَكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ، أَوْ بِذِكْرِ اللهِ،

وَأَنْ تَقْطَعَ أَيَّامَكَ بِالْيَسِيرِ مِنَ القُوتِ، وَتَرْفَعَ هِمَّتَكَ عَنْ دَارِ الْغَفْلَةِ، فَتَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ القَنُوعِ رَاسِخًا، وَتَأْتِي غَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا، وَتَنْزِلُ عَلَى المُلْكِ الْأَكْبَرِ مُخلَّدًا.

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى: يَا جَارِيَةُ،

قَالَتْ: لَبيْك يَا مَوْلَايَ.

قَالَ: أَسَمِعْتِ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ لَهَا: هَلْ هُوَ صَادِقٌ، أَمْ كَاذِبٌ؟

قَالَتْ: بَلْ هُوَ -وَاللهِ- صَادِقٌ.

قَالَ: فَأَنْتِ إِذَنْ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَضَيْعَةُ (أَيْ: أَرْضُ) كَذَا وَكَذَا عَلَيْكِ صَدَقَةٌ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْغِلْمَانُ أَحْرَارٌ، وَضِياعُ كَذَا وَكَذَا عَلَيْكُمْ صَدَقَةٌ، وَهَذِهِ الدَّارُ صَدَقَةٌ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَثَاثِ وَالْأَمْوَالِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ. وَمَدَّ يَدَهُ

عَلَى سِتْرٍ كَانَ عَلَى بَعْضِ أَبْوابِهِ، فَأَخَذَهُ وَسَتَر بِهِ نَفْسَهُ وَرَمَى جَمِيعَ مَا كَـانَ عَلَيْـهِ مِنَ اللِّبَاسِ.

قَالَتْ الْجَارِيَةُ: يَا مَوْلَايَ، لَا عَيْشَ لِي بَعْدَكَ، فَرَمَتْ بِكِسْوَتِهَا وَلَبِسَتْ ثَوبًا خَشِنًا وَخَرَجَتْ مَعَهُ، فَوَدَّعَهُمَا مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ وَدَعَا لَهُمَا وَأَخَذَا طَرِيقًا، وَأَخَذَ مَالِكٌ طَرِيقًا آخَرَ.

قَالَ نَاقِلُ الْحَدِيثِ: فَذُكِرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا يَعْبُدَانِ اللهَ عزَّ وَجَلَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ حَتَّى لَقِيَاه. رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

الْفَصْلُ السَّادِسَ عَشَرَ

موعظة

يَا تَائِهًا فِي الضَّلَالِ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا زَادٍ، مَتَى يُوقِظُكَ مُنَادِيَ الرَّحِيلِ فَتَرْحَلَ عَنِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ؟ قُلْ لِي: مَتَى تَتَيَقَّظُ وَمَاضِي الشَّبَابِ لَا يُعَادُ؟ وَيْحَكَ، كَيْفَ تَقدُمُ عَلَى سَفَرِ الْآخِرَةِ بِلَا رَاحِلَةٍ وَلَا زَادٍ؟!

سَتَنْدَمُ إِذَا حَانَ الرَّحِيلُ، وَأَمْسَيْتَ مَرِيضًا تُقَادُ، وَمُنِعْتَ التَّصَرُّفَ فِيمَا جَمَعْتَ، وَقَطَّعَتِ ا لْحَسَرَاتُ مِنْكَ الْأَكْبَادَ، فَجَاءَتْكَ السَّكَرَاتُ، وَمُنِعَ عَنْكَ الْعُوَّادُ، وكُفِّنْتَ فِي أَخْصَرِ الثِّيَابِ، وحُمِلْتَ عَلَى الْأَعْوَادِ، وَأُودِعْتَ فِي ضِيقِ لَحْدٍ وَغُرْبَةٍ مَا لَها مِنْ نَفَادٍ، تَغْدُو عَلَيْكَ الْحَسَرَاتُ وتَروحُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ، ثُمَّ بَعْدَهُ أَهْوَالٌ كَثِيرَةٌ، فَيَا لَيْتَكَ لِمُعَايَنَتِهَا لَا تُعادُ.

فَاغْتَنِمُوا بَضَائِعَ الطَّاعَاتِ، فَبَضَائِعُ الْمَعَاصِي خَاسِرَةٌ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة ٢٠-٢١].

* وَأَنْشَدُوا:

احْذَرْ دُنْيَاكَ وَغِرَّتَهَا ... وَاحْذَرْ أَنْ تُبْدِي لَهَا طَلَبَا
تَبْغِى وُدًّا مِمَّنْ قِدْمًا ... لَكَ قَدْ قَتَلَتْ أُمًّا وَأَبَا
وَعَلَى الْجِيرَانِ فَقَدْ جَارَتْ ... كُلًّا قَهَرَتْ أَوْلَتْ عَطَبَا
كَمْ مِنْ مَلِكٍ ذِي مَمْلَكَةٍ ... قَدْ مَالَ لَهَا سُكْرًا وَصَبَا
أَضْحَى فِي اللَّحْدِ وَمَقْعَدُه ... بِتُرَابِ اللَّحْدِ قَدِ احْتَجَبَا
اطْلُبْ مَوْلَاكَ وَدَعْ دُنْيَاكَ ... فَفِي أُخْرَاكَ تَرَى عَجَبَا
كَمْ مِنْ قَصْرٍ قَدْ شِيدَ بِنًا ... بِالْمَوْتِ وَهَا أَضْحَى خَرِبَا
يَا طَالِبَهَا لَا تَلْهُ بِهَا ... كَمْ تَاهَ بِهَا مَلِكٌ غُصِبَا

أَيْـنَ الْمَاضُـونَ لَقَـدْ سَكَنُوا ... لَحْـدًا فَـرْدًا خَرِبًـا تَرِبَـا
كَانُـوا وَمَضَـوْا ثُـمَّ انْقَرَضُـوا ... فَتَـأَدَّبْ أَنْـتَ بِهِـمْ أَدَبَـا
فَـالْعُمُرُ مَضَـى وَالشَّـيْبُ أَتَـى ... وَالْمَـوْتُ لِحِينِـكَ قَـدْ قَرُبَـا
فَأَعِـدَّ الـزَّادَ فَمَـا سَـفَرٌ ... عُمُـرُ الْأَيَّـامِ قَـدِ انْتَهَبَـا
بَـادِرْ بِـالتَّوْبِ وَكُـنْ فَطِنـا ... لَا تَلْـقَ بِجَرْيَتِـكَ النَّصَـبَا
فَلَعَـلَّ اللـهَ بِرَحْمَتِـهِ ... يُلْقِـي بِالْعَفْـوِ لَنَـا سَبَبَـا

أُمُّ الوزير البرمكي تطلب الصدقة

* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ غَسَّانَ صَاحِبُ الْكُوفَةِ وَقَاضِيهَا: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّي فِي يَوْمِ عِيدِ أَضْحَى، فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا عَجُوزًا فِي أَطْمَارٍ رَثَّةٍ (أَيْ: أَثْوَابًا رَدِيئَةً)، وَإِذَا لَهَا بَيَانٌ وَلِسَانٌ (أَيْ: تتكَلَّمُ بِفصَاحةٍ)، فَقُلْتُ لِأُمِي مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَالَتُكَ عَانِيَةُ أُمُّ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ -وَزِيرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ- فَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا، وَسَلَّمَتْ عَلَيَّ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ حَالِهَا، وَقُلْتُ لَهَا: صَيَّرَكِ الدُّهْرُ إِلَى مَا أَرَى!

قَالَتْ: نَعَمْ يَا بُنِيَّ، إِنَّما كُنَّا فِي عَوَارٍ (جَمْع عَارِيَةٍ) ارْتَجَعَهَا الدَّهْرُ مِنَّا.

فَقُلْتُ لَهَا: حَدِّثِينِي بِبَعْضِ شَأْنِكِ.

قَالَتْ: خُذْهُ جُملةً، وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ. لَقَدْ مَضَى عَلَيَّ عِيدٌ مِثْلُ هَذَا مِنْذُ ثَلَاثِ سِنِينَ، وَعَلَى رَأْسِي أَرْبَعُمِائَةُ وَصِيفَةٍ (أَيْ: جَارِيَةٍ حَسْنَاءَ) وَأَنَا أَزْعُمُ أَنَّ ابْنِي عَاقٌّ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَ إِلَيَّ بِرَسْمِ الْأَضَاحِي أَلْفِ رَأْسٍ مِنْ الْغَنَمِ، وَثَلَاثِمَائَةِ رَأْسٍ مِنَ الْبَقَرِ، دُونَ مَا يَتْبعُ ذَلِكَ مِنَ الزِّينَةِ وَاللِّبَاسِ، وَقَدْ جِئْتُكُمُ الْيَوْمَ أَطْلُبُ جِلْدَيْ شَاتَيْنِ أَجْعَلُ إِحْدَاهُمَا شِعَارًا، وَالْآخَرَ دِثَارًا: تَعْنِي غِطَاءً بِاللَّيْلِ. (الشِّعَارُ: مَا يَلِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ، وَالدِّثَارُ: مَا كَانَ فَوْقَهُ).

قَالَ: فَغَمَّنِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهَا، وَكَرَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ حَالِهَا، وَأَبْكَانِي -وَاللهِ- قَوْلُهَا، فَوَهَبْتُ لَهَا دَنَانِيرَ كَانَتْ عِنْدِي.

* فَانْظُرْ أَخِي حَالَ الدُّنْيَا، وَكَيْفَ يَحُولُ؟ وَنَعِيمُهَا كَيْفَ يَذْهَبُ وَيَزُولُ؟ فَالْمَغْرُورُ -وَاللهِ- مَنِ اغْتَرَّ بِهَا، وَالْمَسْعُودُ مَنْ رَأَى عَيْبَهَا وَفَرَّ مِنْهَا، وَالْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا أَعْدَادٌ: فَوَاحِدٌ يُصَابُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْآخَرُ يَعْرَى مِنَ الْإِسْلَامِ بِالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ.

قصة رجل آخر فتن بسبب نظرة

* قَالَ بَعْضُ السَّادَاتِ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَمَرَّ بِنَا قَوْمٌ يَجُرُّونَ قَتِيلًا، فَلَمَّا رَآهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقَعَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ غَشْيَتِهِ، سَأَلْتُهُ عَنْ أَمْرِهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْعُبَّادِ وَالزُّهَّادِ وَكِبَارِ السَّادَاتِ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَخْبِرْنَا بِخَبَرِهِ، وَأَطْلِعْنَا عَلَى أَمْرِهِ.

قَالَ: إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يُرِيدُ الْمَسْجِدَ لِيُصَلِّيَ فِيهِ، فَرَأَى فِي طَرِيقِهِ جَارِيَةً نَصْرَانِيَّةً، فَافْتُتِنَ بِهَا، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: لَا أَتَزَوَّجُكَ حَتَّى تَدْخُلَ فِي دِينِي، فَلَمَّا طَالَتِ الْمُدَّةُ، وَزَادَ بِهِ الْأَمْرُ جَبَذَتْهُ شَهْوَتُهُ، ثُمَّ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شِقْوَتُهُ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ، وَبَرِئَ مِنْ دِينِ الْحَنِيفِيَّةِ.

فَلَمَّا صَارَ نَصْرَانِيًّا، وَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ، خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ خَلْفِ السِّتْرِ، وَقَالَتْ: يَا هَذَا، لَا خَيْرَ فِيكَ، خَرَجْتَ مِنْ دِينِكَ الَّذِي صَحِبْتَهُ عُمُرَكَ مِنْ أَجْلِ شَهْوَةٍ لَا قَدْرَ (أَيْ: لَا قِيمَةَ) لَهَا؛ لَكِنْ أَنَا أَتْرُكُ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ طَلَبًا لِنَعِيمٍ لَا يَفْنَى عَنِّي طُولَ الْأَبَدِ فِي جِوَارِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ سورة الإخلاص.

فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ أَمْرِهَا، وَقَالُوا لَهَا: أَكُنْتِ تَحْفَظِينَ هَذِهِ السُّورَةَ قَبْلَ هَذَا؟!

قَالَتْ: لَا، وَاللهِ مَا عَرَفْتُهَا قَطُّ؛ وَلَكِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا أَلَحَّ عَلَيَّ، رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ النَّارَ، فعُرِضَ عَلَيَّ مَكَانِي مِنْهَا، فَارْتَعَبْتُ وَخِفْتُ خَوْفًا شَدِيدًا، فَقَالَ لِي مَالِكٌ (خَازِنُ النَّارِ): لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي، فَقَدْ فَدَاكِ اللهُ بِهَذَا الرَّجُلِ مِنْهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَوَجَدْتُ فِيهَا سَطْرًا مَكْتُوبًا. فَقَرَأْتُهُ، فَوَجَدْتُ فِيهِ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد ٣٩]، ثُمَّ أَقْرَأَنِي سُورةَ الْإِخْلَاصِ، فَأَقْبَلْتُ أُرَدِّدُهَا، ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَأَنَا أَحْفَظُهَا.

قَالَ الْحَسَنُ: فَأَسْلَمَتِ الْمَرْأَةُ، وقُتِلَ الشَّيْخُ عَلَى رِدَّتِهِ نَصْرَانِيًّا.

نَسَأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

الْفَصْلُ السَّابِعَ عَشَرَ

لماذا لا تتوب؟

يَا مَنْ يُذْنِبُ وَلَا يَتُوبُ، كَمْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ الذُّنُوبُ؟ وَيْحَكَ، خَلِّ الْأَمَلَ الْكَذُوبَ. وَاأَسَفًا، أَيْنَ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ؟ تَفَرَّقَتْ بِالْهَوَى فِي شُعُوب، نَدْعُوكَ إِلَى صَلَاحِكَ وَلَا تَؤُوبُ، وَاعِجبًا لَكَ، مَا النَّاسُ إِلَّا ضُرُوبٌ.

* رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا، وَصَحِبتُ طَوَائِفَ، كَانَ يَأْتِي عَلَى أَحَدِهِمْ الْخَمْسُونَ سَنَةً وَنَحْوَهَا مَا طَوَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ثَوْبًا قَطُّ لِفَرَاشٍ وَلَا نَوْمٍ، وَلَمْ يَأْمُرْ أَهْلَهُ قَطُّ بِعَمَلِ طَعَامٍ، وَلَا جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ فِراشًا، وَلَقَدْ كَانَ يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ الْأَكْلَةَ، فَيَوَدُّ أَنَّهَا حَجَرٌ فِي بَطْنِهِ، وَمَا كَانُوا يَفْرَحُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا أَقْبَلَ، وَلَا يَتَأَسَّفُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا أَدْبَرَ، وَلَهِيَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التُّرابِ الَّذِي تَطَؤُونَهُ بِأَرْجُلِكُمْ، وَلَقَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَعِيشُ عُمُرَهُ مَجْهُودًا شَدِيدَ الْجَهْدِ، وَالْمَالُ الْحَلالُ إِلَى جَنْبِهِ، فيُقَالُ لَهُ: أَلَا تَأْخُذَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا لِتَقْتَاتَ بِهِ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَخَافُ إِنْ أَصَبْتُ مِنْهُ شَيْئًا يَكُونُ فَسَادًا لِقَلْبِي وَدِينِي.

الْفَصْلُ الثَّامِنَ عَشَرَ

الحق بركاب الصالحين

يَا غَافِلًا عَنْ مَصِيرِهِ، يَا وَ اقِفًا مَعَ تَقْصِيرِهِ، سَبَقَكَ أَهْلُ الْعَزَائِمِ، وَأَنْتَ فِي بَحْرِ الْغَفْلَةِ عَائِمٌ، قِفْ عَلَى الْبَابِ وُقُوفَ نَادِمٍ، ونَكِّسْ رَأْسَ الذُّلِّ وَقُلْ: أَنَا ظَالِمٌ، وَنَادِ فِي الْأَسْحَارِ: مُذْنِبٌ وَرَاحِمٌ، وتَشَبَّهْ بِالْقَوْمِ -وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ- وَزَاحِمْ، وَابْعَثْ بِرِيحِ الزَّفَرَاتِ سَحَابَ دَمْعٍ سَاجِمٍ (أَيْ: سَائِلٍ)، وَقُمْ فِي الدُّجَى (أَيْ: اللَّيْلِ) نَادِبًا، وَقِفْ عَلَى الْبَابِ تَائِبًا، وَاسْتَدْرِكْ مِنَ الْعُمُرِ ذَاهِبَهُ، ودَعْ اللَّهْوَ جَانِبًا، وَطَلِّقْ الدُّنْيَا إِنْ كُنْتَ لِلْآخِرَةِ طَالِبًا.

يَا نَائِمًا طَوَالَ اللَّيْلِ سَارَتْ الرُّفْقَةُ، وَرَحَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، وَمَا انْتَبَهْتَ مِنَ الرَّقْدَةِ.

موعظة إياس بن قتادة

* يُرْوَى عَنْ إِيَاسِ بْنِ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ، أَنَّهُ نَظَرَ يَوْمًا إِلَى شَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي لِحْيَتِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فَجْأَةِ الْأُمُورِ، أَرَى الْمَوْتَ يَطْلُبُنِي، وَأَنَا لَا أَفُوتُهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِي سَعْدٍ، قَدْ وَهَبْتُ لَكُمْ شَبَابِي فَلْتَهَبُوا لِي شَيْبَتِي، ثُمَّ دَخَلَ دَارَهُ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ حَتَّى مَاتَ.

* وَأَنْشَدُوا:

أَمِنْ بَعْدَ شَيْبٍ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَهْلُ ... جهِلْتَ وَمِنْكَ الْيَومَ لَا يَحْسُنُ الْجَهْلُ

تَحَكَّمَ شَيْبُ الرَّأْسِ فِيكَ وَإِنَّمَا ... تَمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا ويَخْدَعُكَ الْمَطْلُ

دَعْ الْمَطْلَ وَالتَّسْوِيفَ إِنَّكَ مَيِّتٌ ... وَبَادِرْ بِجِدٍّ لَا يُخَالِطُهُ هَزْلُ

سَأَبْكِي زَمَانًا هَدَّنِي بِفُرَاقِهِ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِي عَنْ تَذَكُّرِهِ شُغْلُ

عَجِبْتُ لِقَلْبِي وَالْكَرَى (النَّوْمِ) إِذْ تَهَاجَرا ... وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ بَيْنَهُمَا وَصْلُ

أَخَذْتُ لِنَفْسِي حَتْفَ نَفْسِي بِكَفِّهَا ... وَأَثْقَلْتُ ظَهْرِي مِنْ ذُنُوبٍ لَهَا ثِقْلُ

وَبَارَزْتُ بِالْعِصْيَانِ رَبًّا مُهَيْمِنًا لَهُ المَنُّ وَالإِحْسَانُ وَالْجُودُ وَالْفَضْلُ
أَخَافُ وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَعِقَابَهُ وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ حُكْمٌ عَدْلُ

من مواعظ الحسن البصري

* ورُوي عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَبِطَتْ صَحِيفَتُكَ، وَوُكِّلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمانِ: أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ، فَالَّذِي عَنْ يَمِينِكَ يَكْتُبُ حَسَنَاتِكَ، وَالَّذِي عَنْ يَسَارِكَ يَكْتُبُ سَيِّئَاتِكَ، اعْمِلْ مَا شِئْتَ، وأَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ، حَتَّى إِذَا فَارَقْتَ الدُّنْيَا، طُويَتْ صَفْحَتُكَ، وعُلِّقَتْ فِي عُنُقِكَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ، أُخْرِجَتْ وَقِيلَ لَكَ: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٤].

يَا أَخِي، عَدْلٌ -وَاللهِ- عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

يَا ابْنَ آدَمَ، اعْلَمْ أَنَّكَ تَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتَدْخُلُ قَبْرَكَ وَحْدَكَ، وتُبْعَثُ وَحْدَكَ، وَتُحاسَبُ وَحْدَكَ.

يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَطَاعُوا اللهَ، وَعَصَيْتَ أَنْتَ، لَمْ تَنْفَعْكَ طَاعَتُهُمْ.

* وَرُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ أَنَّهُ لَقِي رَجُلاً، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ؟ فَقَالَ لَهُ:

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نَرَقِّعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ اللهَ رَبَّهُ وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يَتَوَقَّعُ

موعظة عون بن عبد الله

* وَيُرْوَى أَنَّ عَوْنَ بْنَ عَبْدِ اللهِ كَانَ يَقُولُ: وَيْحِي، كَيْفَ أَغْفَلُ ولا يُغفَلُ عَنِّي؟ وَكَيْفَ يَهْنَأُ عَيْشِي، وَالْيَوْمَ ثَقِيلٌ مِنْ وَرَائِي؟ كَيْفَ لَا أُبَادِرُ بِعَمَلِي، وَلَا أَدْرِي مَتَى أَجَلِي؟ أَمْ كَيْفَ أُسَرُّ بِالدُّنْيَا وَلَا يَدُومُ فِيهَا حَالِي؟ أَمْ كَيْفَ أُوثِرُهَا وَقَدْ

أَضَرَّتْ بِمَنْ آثَرَهَا قَبْلِي؟ أَمْ كَيْفَ يَشْتَدُّ حِرْصِي عَلَيْهَا وَفِي غَيْرِهَا قَرَارِي وَخُلْدِي؟ أَمْ كَيْفَ تُعْجِبُنِي وَهِي زَائِلَةٌ وَمُنْقَطِعَةٌ عَنِّي؟ أَمْ كَيْفَ لَا يَطُولُ حُزْنِي، وَرَبِّي لَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي فِي ذُنُوبِي؟.

* وَيُرْوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَتْ تَأْتِي أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مَا يُوقَدُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِصْبَاحٌ وَلَا نَارٌ. قِيلَ لَهَا: فِيمَ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ؟ قَالَتْ عَلَى الْأَسْوَدَيْنِ: الْمَاءِ وَالتَّمْرِ[١].

إنـي لأشـتهي من الله ثلاثة

* وَعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سُلَيْمَانَ زَوْجِ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ لِي يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: إِنِّي لَأَشْتَهِي مِنَ اللهِ ثَلَاثَةً، قُلْتُ: وَمَا هِي؟

قَالَ: أَشْتَهِي أَنْ أَكُونَ حِينَ أَمُوتُ لَيْسَ فِي مُلْكِي شَيْءٌ، وَلَا يَكُونُ عَلَيَّ دَيْنٌ، وَلَا يَكُونُ عَلَى عَظْمِي لَحْمٌ.

وَلَقَدْ أُعْطِيَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَلَقَدْ قَالَ لِي فِي مَرَضِهِ: هَلْ بَقِي عِنْدَكِ نَفَقَةٌ؟

قُلْتُ: لَا، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ؟ فَقُلْتُ: أُخْرِجُ هَذِهِ الْخَابِيَةَ إِلَى السُّوقِ لِلْبَيْعِ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتِ ذَلِكَ، انْكَشَفَ حَالُنَا، فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّمَا بَاعُوهَا مِنَ الْحَاجَةِ.

وَكَانَ عِنْدَنَا خَرُوفٌ أَهْدَاهُ لَنَا بَعْضُ إِخْوَانِنَا، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ إِلَى السُّوقِ، فَبِيعَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِي (٢٥٦٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٧٢)، وَاللَّفْظُ لَهُ: «عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: «وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَارٌ. قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ» ، أَخْرَجَهَا الْبُخَارِي (٦٤٥٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٧٢).

بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ.

فَقَالَ لِي: اعْزِلِي مِنْهَا دِرْهَمًا لِحَنُوطِي (أَيْ: لِكَفَنِي) وَأَنْفِقِي سَائِرَهَا.

قَالَتْ: فَمَاتَ وَمَا بَقِي مِنَ الدَّرَاهِمِ إِلَّا الدِّرْهَمُ الَّذِي أَمَرَ بِعَزْلِهِ لِحَنُوطِهِ.

* يَا مَنْ تُحدِّثُهُ الْآمَالُ، دَعْ عَنْكَ هَذِهِ الْوَسَاوِسَ، مَتَى تَنْتَبِهُ لِصَلَاحِكَ أَيُّهَا النَّاعِسُ؟ مَتَى تَطْلُبُ الْأُخْرَى يَا مَنْ عَلَى الدُّنْيَا يُنَافِسُ؟

مَتَى تَذْكُرُ وَحْدَتَكَ إِذَا انْفَرَدْتَ عَنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ يَا مَنْ قَلْبُهُ قَدْ قَسَا وَجَفْنُهُ نَاعِسٌ؟.

* وَأَنْشَدُوا:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطَتْ ... إِلَّا لِعِظَمِ بَلِيَّتِي وَشَقَائِي

إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى ... كَيْفَ التَّخَلُّصُ مِنْ يَدَيْ أَعْدَائِي

* ورُوِيَ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَعِدتُ عَلَى جَبَلِ لُبْنَانَ؛ لِأَرَى مَنْ أَتَأَدَّبُ بِهِ وَأَتَهَذَّبُ بِأَخْلَاقِهِ، فَوَجَدْتُ مَغَارَةً فِيهَا شَيْخٌ تَلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ الْأَنْوَارُ، وَقَدْ عَلَتْهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، فَسَلَمْتُ عَلَيْهِ، فَأَحْسَنَ الرَّدَّ، فَبَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ عِنْدُهُ، وَإِذَا أَنَا بِمَطَرٍ عَظِيمٍ وَسَيْلٍ شَدِيدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ آوِي إِلَى الْمَغَارَةِ مِنْ غَيْرِ إِذْنِهِ، فَنَادَانِي وَآوَانِي، وَأَقْعَدَنِي عَلَى صَخْرَةٍ بِإِزَائِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى مِثْلِهَا، وَقَدْ ضَاقَ صَدْرِي مِنَ الْمَطَرِ، وَتَضْيِيقِي عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ، فَنَادَانِي، وَقَالَ لِي: مِنْ شَرَائِطِ الْخُدَّامِ: التَّوَاضُعُ وَالِاسْتِسْلَامُ. علامة المحبة

فَقُلْتُ لَهُ: **مَا عَلَامَةُ الْمَحَبَّةِ؟**

قَالَ: إِذَا كَانَ الْبَدَنُ كَالْحَيَّةِ يَلْتَوِي، وَالْفُؤَادُ بِنَارِ الشَّوْقِ يَكْتَوِي، فَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلْبَ عَلَى الْمَحَبَّةِ مُنْطَوٍ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ يُشَاهِدُهَا الْمُحِبُّ دُونَ الْهَجْرِ فَهِي نِعْمَةٌ،

فَالْكُلُّ عَنْهُ عِوَضٌ إِلَّا الْمَحْبُوبُ. أَلَا تَرَى إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَاهَدَ الْعِتَابَ وَالنِّقْمَةَ؛ ولكنه لمَّا لم يكن معه هَجْرٌ، كانت مِنَحًا وَنِعْمَةً، وجعل يقول ﵁:

جَسَدٌ نَاحِلٌ وَدَمْعٌ يَفِيضُ ... وَهَوًى قَاتِلٌ وَقَلْبٌ مَرِيضُ

وَسِقَامٌ عَلَى التَّنَائِي شَدِيدٌ ... وَهُمُومٌ وَحُرْقَةٌ وَمَضِيضُ

يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ قَلْبِي مَرِيضٌ ... وَالْهَوَى قَاتِلِي وَدَمْعِي يَفِيضُ

قَالَ: وَصَاحَ الشَّيْخُ صَيْحَةً، فَسَقَطَ مَيْتًا.

الْفَصْلُ التَّاسِعَ عَشَرَ

موعظة

يَا أَخِي، لَا يَبِيعُ الْبَاقِي بِالْفَانِي إِلَّا خَاسِرٌ، وَإِيَّاكَ وَالْأُنْسَ بِمَنْ تَرْحَلُ عَنْهُ، فَتبْقَى كَالْحَائِرِ.

رَفِيقُ التَّقْوَى رَفِيقٌ صَادِقٌ، وَرَفِيقُ المَعَاصِي غَادِرٌ. مَهْرُ الْآخِرَةِ يَسِيرٌ: قَلْبٌ مُخْلِصٌ، وَلِسَانٌ ذَاكِرٌ. إِذَا شِبْتَ وَلَمْ تَنْتَبِهْ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَائِرٌ.

فَدَيْتُ أَهْلَ التَّهَجُّدِ بِلِسَانٍ بَاكٍ وَجَفْنٍ سَاهِرٍ، كَمْ لَهُمْ عَلَى بَابِ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ مِنْ تَمَلُّقٍ وَدَمْعٍ قَاطِرٍ، إِذَا تَنَسَّمُوا نَسِيمَ السَّحَرِ أَغْنَاهُمْ عَنْ نَسِيمِ الْعُذَيْبِ وَحَنَاجِرُ، عَصَفَتْ بِهِمْ رَوَاشِقُ الِاسْتِغْفَارِ الْبَوَاكِرِ، عَمَّرُوا مَنَازِلَ الْخِدْمَةِ، وَمَنْزِلُ الْغَفْلَةِ خَرَابٌ دَاثِرٌ.

* وَأَنْشَدُوا:

أَبْلَيْتَ مَنْ أَحبَبْتَ يَا حَسَنَ الْبَلَا ... وَخَصَّصْتَ بِالْبَلْوَى رِجَالًا خُشَّعَا
أَحبَبْتَ بَلْوَاهُمْ وَطُولَ حَنِينِهِمْ ... وَأَطَلْتَ ضُرَّهُمْ لِكَي يَتَخَضَّعَا

حقيقة المحبة

* قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقِ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ: مُشَاهَدَةُ الْمَحْبُوبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِالْغَيْرِ حِجَابٌ، وَأَصْلُهُ التَّسْلِيمُ وَالْيَقِينُ، فَإِنَّهُمَا يُبلِّغَانِ إِلَى دَرَجَاتِ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

* وَأَنْشَدُوا:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةْ
وَأَكْرَهُ مَنْ بِضَاعَتُهُ الْمَعَاصِي ... وَلَوْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةْ

الْفَصْلُ الْمُوفِّي عِشْرِينَ

احذر فالعمر يمر

يَا أَسِيرًا فِي قَبْضَةِ الْغَفْلَةِ، يَا صَرِيعًا فِي سَكْرَةِ الْمُهْلَةِ، يَا نَاقِضَ الْعَهْدِ، انْظُرْ لِمَنْ عَاهَدْتَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، أَكْثَرُ الْعُمُرِ قَدْ مَضَى، وَأَنْتَ تَتَعَلَّلُ، يَا مَدْعُوًّا إِلَى نَجَاتِهِ وَهُوَ يَتَوَانَى، مَا هَذَا الْفُتُورُ وَالْعُمُرُ قَدْ تَدَانَى؟ كَأَنَّكَ بِالدَّمْعِ يَجْرِي عِنْدَ الْمَوْتِ هَتَّانًا (أَيْ: مُنْسَكِبًا).

يَا أَخِي، مَا أَحْسَنَ مَا كُنْتَ فَتَغَيَّرْتَ! مَا أَقْوَمَ جَادَّتَكَ! فَكَيْفَ تَعَثَّرْتَ؟!

يَا مَعَاشِرَ الْمَطْرُودِينَ عَنْ رِفَاقِ التَّائِبِينَ ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾ [النمل: ٧٥].

* كَانَ بَعْضُ الْأَغْنِيَاءِ كَثِيرَ الشُّكْرِ فَطَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ، فَبَطَرَ وَعَصَى، فَمَا زَالَتْ نِعْمَتُهُ، وَلَا تَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، تَغَيَّرَتْ طَاعَتِي، وَمَا تَغَيَّرَتْ نِعْمَتِي،

فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ يَقُولُ: يَا هَذَا، إِنَّ لِأَيَّامِ الْوِصَالِ عِنْدَنَا حُرْمَةً وَذِمَامًا، حَفِظْنَاهَا نَحْنُ لَكَ، وَضَيَّعْتَهَا أَنْتَ لَنَا.

* وَأَنْشَدُوا:

سَأَتْرُكُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَاقِفًا ... فَإِنْ عُدْتَ عُدْنَا وَالْوِدَادُ سَلِيمُ
تُوَاصِلُ قَوْمًا لَا وَفَاءَ بِعَهْدِهِمْ ... وَتَتْرُكُ مِثْلِي وَالْحِفَاظُ قَدِيمُ

وصية حاتم الأصم

* قَالَ رَجُلٌ لِحَاتِمٍ الْأَصَمِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَوْصِنِي بِشَيْءٍ أَتَّصِلُ بِهِ إِلَى بَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى سَفَرِ الْحَجِّ.

فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنْ أَرَدْتَ أَنِيسًا، فَاجْعَلِ الْقُرْآنَ أَنِيسَكَ، وَإِنْ أَرَدْتَ رَفِيقًا، فَاجْعَلِ الْمَلَائِكَةَ رُفَقَاءَكَ، وَإِنْ أَرَدْتَ حَبِيبًا، فَاللهُ سُبْحَانَهُ يَتَوَلَّى قُلُوبَ أَحْبَابِهِ، وَإِنْ أَرَدْتَ الزَّادَ، فَالْيَقِينُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نِعْمَ الزَّادُ، وَاجْعَلِ الْبَيْتَ قِبْلَةَ

وَجْهِكَ، وَطُفْ بِسِرِّكَ حَوْلَهُ.

* وَقَالَ عَطَاءٌ السُّلَيْمِيُّ لِعُمَرَ بْنِ يَزِيدَ السُّلَمِيِّ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، الدُّنْيَا بَلَاءٌ فِي بَلَاءٍ مَعَ هَوَى النَّفْسِ وَمُقَارَنَةِ الشَّيْطَانِ، وَالْآخِرَةُ بَلَاءٌ فِي بَلَاءٍ مَعَ الْمُوَافَقَةِ وَالْحِسَابِ. فَيَا لَهَا مِنْ نُفُوسٍ مُضْمَحِلَّةٍ فِيمَا بَيْنَهُمَا،حَتَّى مَتَى تَسْهُو وَتَلْعَبُ؟! وَمَلَكُ الْمَوتِ فِي طَلَبِكَ لَا يَغْفَلُ عَنْكَ، وَالْمَلَائِكَةُ يَكْتِبُونَ عَلَيْكَ أَنْفَاسَكَ.

قَالَ: فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

* يَا مَنْ صَحِيفَتُهُ سَوْدَاءُ، اغْسِلْهَا بِالدُّمُوعِ، وَتَعَرَّضْ لِمَجَالِ الْمُتَهَجِّدِينَ، وَقُلْ: ضَالٌّ ضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ مَقْطُوعٌ، وَهَذَا مَأْتَمُ الْأَحْزَانِ، إِلَى أَيِّ وَقْتٍ تَدَّخِرُ الدُّمُوعَ؟ هَذَا مَجْلِسُ الشَّكْوَى، هَذَا وَقْتُ الرُّجُوعِ.

فَبَادِرُوا إِخْوَانِي، وَافْهَمُوا أَسْرَارَ الْمُرَادِ: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر: ٤٤].

* قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: كُنْتُ مَارًّا فِي الْبَادِيَةِ، وَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ كَأَنَّهَا فَلْقَةُ قَمَرٍ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا، فَأَحسَنَتْ إِلَيَّ الرَّدَّ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا جَارِيَةُ، كُلِّي بِكُلِّكِ مَشْغُولٌ، فَقَالَتْ فِي الْحَالِ: كُلِّي لِكُلِّكَ مَبْذُولٌ؛ وَلَكِنْ إِنْ أَعْجَبَكَ حُسْنِي فَانْظُرْ خَلْفَكَ [فَلَعَلَّكَ] تَرَى مَنْ هِيَ أَحْسَنُ مِنِّي، فَنَظَرْتُ خَلْفِي، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا، فَصَرَخَتْ عَلَيَّ وَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا بَطَّالُ، لَمَّا رَأَيْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ حَسِبْتُكَ عَارِفًا، فَلَمَّا تَكَلَّمَتَ حَسِبْتُكَ وَامِقًا (أَيْ: عَاشِقًا)، وَإِذَا بِكَ يَا مِسْكِينُ لَا عَارِفًا وَلَا وَامِقًا، تَدَّعِي مَحَبَّتِي وَتَنْظُرُ إِلَى غَيْرِي، وَأَنْتَ لَمْ تَصِلْ إِلَى قُرْبِي، ثُمَّ وَلَّتْ عَنِّي.

الجارية تعظ الأصمعي

* [وَقَالَ آخَرُ]: رَأَيْتُ رَجُلاً أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، نَحِيفًا،

كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ، ذَا مَنْظَرٍ يَهُولُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، وَقَالَ لِي: الصَّلَاةَ، وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمْ يَزَلْ رَاكِعًا سَاجِدًا حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ وَاسْتَنَدَ إِلَى حَجَرٍ كَانَ بِإِزَاءِ مِحْرَابِهِ، وَهُوَ لَا يُكَلِّمُنِي، فَبَدَأْتُهُ الْكَلَامَ، وَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ أَوْصِنِي بِشَيْءٍ أَنْتَفِعُ بِهِ، وَادْعُ لِي بِدَعْوَةٍ.

فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، مَنْ آنَسَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقُرْبِهِ، أَعْطَاهُ بِضْعَ خِصَالٍ:

عِزًّا مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ،

وغِنًى مِنْ غَيْرِ مَالٍ،

وأُنْسًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعَةٍ.

الْفَصْلُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

يَا أَخِي، للهِ دَرُّ أَقْوَامٍ نَعَّمَهُمْ مَوْلَاهُمْ بِقُرْبِهِ، فَحَجَبَهُمْ عَنْ خَطَرَاتِ الْوَسْوَاسِ، حَمَى إِقْلِيمَ قُلُوبِهُمْ مِنْ غُبَارِ الشَّهَوَاتِ مِنْ حِمَايَتِهِ بِحُرَّاسٍ، قَبِلُوا أَمْرَهُ بِالقَبُولِ، وَقَامُوا بِهِ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ، قَدَّمُوا زَادَ الْأَعْمَالِ لِسَفَرِ الْمَوْتِ وَظُلْمَةِ الْأَرْمَاسِ (أَيِ: الْقُبُورِ)، يَا بَطَّالُ، أَبْطَالُ مَيْدَانِ الدُّجَى لِلَّهِ دَرُّهُمْ مِنَ أَبْطَالٍ وَأَفْرَاسٍ، خَلَعَ عَلَيْهِمْ خِلْعَةَ الرِّضَا، وَنَادَاهُمْ مَرْحَبًا بِالْأَحْبَابِ الْأَكْيَاسِ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. موعظة

* وَأَنْشَدُوا:

أَيَا نَفْسُ تُوبِي قَبْلَ أَنْ يَنْكَشِفَ الغَطا ... وَأُدْعَى إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ وأَجْزعُ
فَلِلَّهِ عَبْدٌ خَائِفٌ مِنْ ذُنُوبِهِ ... تَكَادُ حَشَاهُ مِنْ أَسىً تَتَقَطَّعُ
إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ البَهِيمُ رَأَيْتَهُ ... وَقَدْ قَامَ فِي مِحْرَابِهِ يَتَضَرَّعُ
يُنَادِي بِذُلٍّ يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي ... ومَنْ يَهْرَبُ الْعَاصِي إِلَيْهِ وَيَفْزَعُ
قَصَدْتُكَ يَا سُؤْلِي وَمَا لِي مُشَفَّعٌ ... سِوَى حُسْنِ ظَنِّي حِينَ أَرْجُو وأَطْمَعُ
فَجُدْ لِي بِعَفْوٍ وَامْحُ ذَنْبِي وَنَجِّنِي ... مِنَ النَّارِ يَا مَوْلَىً يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
بِهَذَا يُنَالُ المُلْكُ وَالْفَوْزُ فِي غَدٍ ... ويُجْزَى نَعِيمًا دَائِمًا لَيْسَ يُقْطَعُ

* وَقَفَ الْفَضْلُ الْجَوْهَرِيُّ الْعَالِمُ فِي الْحَرَمِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْكَعْبَةِ وَهُوَ مُحْرِمٌ ثُمَّ قَالَ بِأَعْلَى صُوتِهِ:

يَا تَلْفَى بِحُتُوفِ الْمُرَاقِبَةِ وَالْمَعْرِفَةِ، يَا قَتْلَى بِسُيُوفِ الْمُؤَانَسَةِ وَالْمَحَبَّةِ، يَا حَرْقَى بِنَارِ الْخَوْفِ وَالِاشْتِيَاقِ، وَيَا غَرْقَى فِي بَحْرِ الْمُشَاهَدَةِ والتَّلَاقِ، هَذِهِ دِيَارُ الْمَحْبُوبِ، فَأَيْنَ الْمُحِبُّونَ؟ هَذِهِ أَسْرَارُ الْقُرْبِ، فَأَيْنَ الْمُشْتَاقُونَ؟ هَذِهِ آثَارُ

الدِّيَارِ وَالرُّبُوعِ، فَأَيْنَ الْقَاصِدُونَ؟ هَذِهِ سَاعَةُ الْعَرْضِ وَالإِطِّلَاعِ عَلَى الدُّمُوعِ، فَأَيْنَ الْبَاكُونَ؟ثُمَّ شَهِقَ شَهْقَةً عَظِيمةً وغُشِي عَلَيْهِ، فَأَفَاقَ بَعْدَ سَاعَةٍ وَهُو يَقُولُ:

مُــــذْ تبَــــدَّى لِنَــــاظِرِي بَلْبَـــلَ الشَّـــوقُ خَـــاطِرِي
حَاضِــــرٌ غَيْـــرُ غَائِـــبِ ســـاَكِنٌ فِـــي الضَّـــمَائِرِ
هُـــوَ كَنْـــزِي الَّـــذِي بَـــدَا فِـــي الرُّسُـــومِ الـــدَّوَائِرِ

علامة المحبين لله

قَالَ الرَّاوِي: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي مَا عَلَامَةُ الْمُحِبِّينَ للهِ؟.

قَالَ: إِنَّ لِلْمُحِبِّينَ عِنْدَ ظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَشَّاطًا، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ انْبِسَاطًا، شَغَلَهُمُ الأُنْسُ بِمَعْبُودِهِمْ عَنْ لَذَّةِ الْكَرَى (أَي: النَّوْمِ)، وَقَطَعَهُمُ الشُّغْلُ بِهِ عَنْ جَمِيعِ الْوَرَى، وَلَا يُؤْثِرُونَ عَلَى مُنَاجَاتِهِ مَنَامًا، وَلَا يَخْتَارُونَ عَلَى كَلَامِهِ كَلامًا، عَرفَهُ مَنْ عَرفَهُ، وَذَاقَهُ مَنْ ذَاقَهُ، وَاسْتَأْنَسَ بِهِ مَنِ اسْتَطَابَهُ.

* سُبْحَانَ مَنْ حَكَمَ بِالْفَنَاءِ (أَي: الْمَوْتِ) عَلَى الْخَلَائِقِ، فَتَسَاوَى عِنْدَهُ الْمُلُوكُ وَالْعَبِيدُ، تفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ، وَتَوَحَّدَ بِالْقِدَمِ (أَي: الْأَزَلِيَّةِ)، وَصَرَفَ أَقْدَارَهُ فِي الْمُلْكِ بِمَا يُرِيدُ، ظَهَرَ افْتِقَارُ الْكُلِّ إِلَيْهِ: الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ وَالْغَوِيِّ وَالرَّشِيدِ، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

جَوادٌ غَمَرَ الْكُلَّ عطَاؤُهُ، فَأَيْنَ يَفِرُّ الْعَاصِي؟ وَمَنْ يَجْبُرُ الفَقِيدَ؟، مَا أَغْفَلَ أَهْلَ الْمَعَاصِي عَنْ قِسْمَةِ الْعِبَادِ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ.

* وَأَنْشَدُوا:

إِحْدَى وَسِتُّون لَوْ مَرَّتْ عَلَى حَجَرٍ لَكَانَ مِنْ حُكْمِهَا أَنْ يَخْلَقَ الْحَجَرُ
تُؤَمِّـــلُ الـــنَّفْسُ آمَـــالًا لِتبْلُغَهَـــا كَأَنَّهَـــا لَا تَـــرَى مَـــا يَصْـــنَعُ القَـــدرُ

* وَأَنْشَدُوا:

يَـــا أَعَـــزَّ النَّـــاسِ عِنْـــدِي كَيْـــفَ حَتَّـــى خُنْـــتَ عَهْـــدِي

سَـــوْف أشْـــكُو لَـــكَ حَـــالِي فَعَسَـــى شَـــكْوايَ تُجْـــدِي

أَنْـــتَ مَـــوْلَايَ تَرَانِـــي ودُمُـــوعِي فَـــوْقَ خَـــدِّي

أَقْطَـــعُ اللَّيْـــلَ أُقَاسِـــي مَـــا أُقَاسِـــي فِيـــهِ وَحْـــدِي

الْفَصْلُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

موعظة

يَا أَخِي، لَا تَغْسِلْ أَدْنَاسَ الذُّنُوبِ إِلَّا بِمَاءِ الْمَدَامِعِ، لَا يَنْجُو مِنْ قَتَارِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا مَنْ يُسَارِعُ، أَحْضِرْ قَلْبَكَ سَاعَةً، عَسَاهُ بِنَائِحَةِ الْمَوْعِظَةِ يُرَاجِعُ، كَمْ لِي أَتْلُو عَلَيْكَ صُحُفَ الْمَوْعِظَةِ، وَمَا أَظُنُّكَ سَامِعٌ؛ لَكِنَّ يَوْمَ الْمَعْصِيَةِ مَا أَنْحَسَهُ مِن طَالِعٍ، وَيَوْمَ الطَّاعَةِ مُخْتَارٌ وَكُلُّ سَعْدٍ فِيهِ طَالِعٌ.

اطْلُبْ -وَيْحَكَ- رِفَاقَ التَّائِبِينَ، وَجَدِّدْ رَسَائِلَكَ لِلْحَبِيبِ وَطَالِعْ، مِصْبَاحُ التَّقْوَى يَدُلُّ عَلَى الْجَادَةِ، وَكَمْ فِي ظُلْمَةِ الْغَفْلَةِ مِنْ قَاطِعٍ.

ابْكِ -وَيْحَكَ- عَلَى مَوْتِ قَلْبِكَ وَعَمَى بَصِيرَتِكَ، وَكَثْرَةِ الْمَوَانِعِ.

إِذَا لَمْ يَعظْكَ الدَّهْرُ وَالشَّيْبُ وَالضَّعْفُ، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ، فَبِاللهِ يَا إِخْوَانِي، بَادِرُوا بِالْمَتَابِ، وَرَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ.

مَا اعْتِذَارِي وَأَمْرُ رَبِّي عَصَيْتُ ... حِينَ تُبْدِي صَحَائِفِي مَا أَتَيْتُ

مَا اعْتِذَارِي إِذَا وَقَفْتُ ذَلِيلًا ... قَدْ نَهَانِي مَا أَرَانِي انْتَهَيْتُ

يَا غَنِيًّا عَنِ الْعِبَادِ جَمِيعًا ... وَعَلِيمًا بِكُلِّ مَا قَدْ سَعَيْتُ

لَيْسَ لِي حُجَّةٌ وَلَا لِي عُذْرٌ ... فَاعْفُ عَنْ زَلَّتِي وَمَا قَدْ جَنَيْتُ

وَقَالَ آخَرُ:

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي سِوى أَمَلِي ... فِي حُسْنِ عَفْوِكَ عَنْ جُرْمِي وَعَنْ عَمَلِي

فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فَالذَّنْبُ قَدْ عَظُمَا ... فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي وَمِن زَلَلِي

كيف تصلي خاشعا لله؟

* وَيُرْوَى عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَاصِمٍ أَنَّهُ ذُكِرَ لَهُ عَنْ حَاتِمٍ الْأَصَمِّ أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى النَّاسِ فِي الزُّهْدِ وَالْإِخْلَاصِ، فَقَالَ يُوسُفُ لِأَصْحَابِهِ: اذْهَبُوا بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلُهُ عَنْ صَلَاتِهِ إِنْ كَانَ يُكْمِلُهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُكْمِلُهَا، نَهَيْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ.

قَالَ: فَأَتَوْهُ وَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: يَا حَاتِمُ، جِئْنَا نَسْأَلُكَ عَنْ صَلَاتِكَ؟

فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَسْأَلُنِي عَافَاكَ اللهُ؟ عَنْ مَعْرِفَتِهَا أَوْ عَنْ تَأْدِيَتِهَا؟

فَالْتَفَتَ يُوسُفُ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: زَادَنَا حَاتِمٌ مَا لَمْ نُحْسِنْ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ لِحَاتِمٍ: نَبْدَأُ بِتَأْدِيَتِهَا.

فَقَالَ لَهُمْ: تَقُومُ بِالْأَمْرِ، وَتَقِفُ بِالِاحْتِسَابِ، وَتَدْخُلُ بِالسُّنَّةِ، وَتُكَبِّرُ بِالتَّعْظِيمِ، وَتَقْرَأُ بِالتَّرْتِيلِ، وَتَرْكَعُ بِالْخُشُوعِ، وَتَسْجُدُ بِالْخُضُوعِ، وَتَرْفَعُ بِالسَّكِينَةِ، وَتَتَشَهَّدُ بِالْإِخْلَاصِ، وَتُسَلِّمُ بِالرَّحْمَةِ.

قَالَ يُوسُفُ: هَذَا التَّأْدِيبُ، فَمَا الْمَعْرِفَةُ؟

قَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَيْهَا فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ، فَأَقْبِلْ عَلَى مَنْ هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ جِهَةَ التَّصْدِيقِ لِقَلْبِكَ: أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْكَ، قَادِرٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا رَكَعْتَ فَلَا تُؤَمِّلُ أَنْ تَرْفَعَ، وَإِذَا رَفَعْتَ فَلَا تُؤَمِّلُ أَنْ تَسْجُدَ، وَإِذَا سَجَدْتَ فَلَا تُؤَمِّلُ أَنْ تَقُومَ، وَمَثِّلِ الْجَنَّةَ عَنْ يَمِينِكَ، وَالنَّارَ عَنْ يَسَارِكَ، وَالصِّرَاطَ تَحْتَ قَدَمَيْكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ مُصَلٍّ.

فَالْتَفَتَ يُوسُفُ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: قُومُوا نُعِيدُ الصَّلَاةَ الَّتِي مَضَتْ مِنْ أَعْمَارِنَا.

* يَا مَنْ مَاتَ قلبُهُ، أَيُّ شَيْءٍ تَنْفَعُ حَيَاةُ الْبَدَنِ إِذَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَ الْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ؟ سَلَبَكَ الْمَشِيبُ مِنَ الشَّبابِ، فَأَيْنَ الْبُكَاءُ وَأَيْنَ الْحُزْنُ؟ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ خَرَابًا مِنَ التَّقْوَى، فَمَا يَنْفَعُ الْبُكَاءُ فِي الدِّمَنِ، يَا قَتِيلَ الْهِجْرَانِ، هَذَا أَوَانُ الصُّلْحِ، بَادِرْ عَسَى يَزُولُ الْحُزْنُ.

* وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: كَانَ لِي مُعَامِلٌ يَهُودِيٌّ، فَرَأَيْتُهُ بِمَكَّةَ مُتضَرِّعًا مُبْتَهِلًا فَأَعْجَبَنِي حُسْنُ إِسْلَامِهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ إِسْلَامِهِ.

فَقَالَ: تَقَدَّمْتُ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْآجُرِّيِّ النَّيْسَابُورِيِّ، وَهُوَ يُوقِدُ فِي تَنُّورِ الآجُرِّ، أَطْلُبُ دَيْنًا كَانَ لِي عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: أَسْلِمْ، وَاحْذَرْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةِ.

فَقُلْتُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَنْتَ أَيْضًا فِيهَا.

قَالَ: فَعَسَى تَعْنِي قولَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ لِي: أَعْطِنِي ثَوْبَكَ، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ لَفَّ ثَوْبِي فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ رَمَى بِهِمَا فِي التَّنُّورِ (أَيْ: الفُرْنِ) وَصَبَرَ سَاعَةً طَوِيلَةٍ، ثُمَّ قَامَ وَاجِدًا شَاهِقًا بَاكِيًا وَدَخَلَ في الْأَتُونِ -يَعْنِي مُسْتَوْقَدَ النَّارِ- وَهِي تتَأَجَّجُ لَهِيبًا وَزَفِيرًا، وَأَخَذَ الثِّيَابَ مِنْ وَسَطِ النَّارِ، وَخَرَجَ عَلَى الْبَابِ الْآخَرِ، فَهَالَنِي ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ، فَهَرْوَلْتُ إِلَيْهِ مُتَعَجِّبًا، وَإِذَا بِالرُّزْمَةِ صَحِيحَةٌ كَمَا كَانَتْ، فَحَلَّهَا، وَإِذَا بِثِيَابِي قَدِ احْتَرَقَتْ كَأَنَّهَا فَحْمَةٌ فِي وَسَطِ ثِيَابِهِ، وَثِيَابُهُ صَحِيحَةٌ لَمْ تَمَسَّهَا النَّارُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مِسْكِينُ، هَكَذَا يَكُونُ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١].

فَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ فِي الْحَالِ، وَهَذَا مَا رَأَيْتُ مِنْ أَحْوَالِ الرِّجَالِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

احذر التسويف والرياء

يَا مَنْ سَوَّفَ بالمَتَابِ حَتَّى شَابَ، يَا مَنْ ضَيَّعَ فِي الْغَفْلَةِ أَيَّامَ الشَّبَابِ، يَا مَطْرُودًا بِذُنُوبِهِ عَنِ الْبَابِ، إِذَا كُنْتَ فِي الشَّبَابِ غَافِلًا، وَفِي الْمَشِيبِ مُسَوِّفًا، مَتَى تَقِفُ بِالْبَابِ؟ كَمْ عُومِلْتَ عَلَى الْوَفَاءِ؟ مَا هَكَذَا فِعْلُ الْأَحْبَابِ.

الظَّاهِرُ مِنْكَ عَامِرٌ، وَالْبَاطِنُ -وَيْحَكَ- خَرَابٌ، كَمْ عِصْيانٍ! كَمْ مُخَالَفَةٍ! كَمْ رِيَاءٍ! كَمْ حِجَابٍ! وَلَّى طَيِّبُ العُمُرِ فِي الْخَطَايَا، يَا تُرَى تَعُودُ إِلَى الصَّوابِ!

مَا بَعْدَ الشَّيْبِ لَهْوٌ، كَيْفَ يَجْمُلُ بِالشَّيْخِ التَّصَابي؟! أَنْتَ لَوْ قَدَّمْتَ فِي مُتَقَادِمِ عُمُرِكَ الطَّاعَةَ؛ لَخُفِّفَ عَنْكَ الْحِسَابُ.

كَيْفَ وَالْعُمُرُ وَلَّى فِي الْغَفْلَةِ وَفِي طَلَبِ الْأَسْبَابِ؟ إِذَا أَنْذَرَكَ الْمَشِيبُ بِالرِّحْلَةِ، وَلَمْ تُقَدِّمِ الزَّادَ مَاذَا يَكُونُ الْجَوَابُ؟!

لَيْتَ شِعْرِي أَهْلُ الْمَعَاصِي كَيْفَ عَيْشُهُمْ يَطِيبُ؟! ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ [سبأ: ٥١].

موعظة محمد بن واسع للشباب

* يُرْوَى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ رَأَى شَبَابًا فِي الْمَسْجِدِ، قَدْ خَاضُوا فِي بَحْرِ الْغِيبَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَيَجْمُلُ بِأَحَدِكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَبِيبٌ، فَيُخَالِفُهُ لِيَفُوزَ بِهِ غَيْرُهُ؟

فَقَالُوا: لَا.

فَقَالَ: أَنْتُمْ قُعُودٌ فِي بَيْتِ اللهِ تُخالِفُونَ أَمْرَهُ، وَتَغْتَابُونَ النَّاسَ.

فَقَالُوا: قَدْ تُبْنَا.

فَقَالَ: يَا أَوْلَادِي، هُوَ رَبُّكُمْ وَحَبِيبُكُمْ، وَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ وَأَطَاعَهُ غَيْرُكُمْ، خَسِرْتُمُوهُ وَرَبِحَهُ غَيْرُكُمْ، أَفَلَا يَضُرُّكُمْ ذَلِكَ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

فَقَالَ: وَمَنْ خَالَفَهُ، وَرُبَّمَا عَاقَبَهُ لَوْ عَاقَبَهُ، أَفَلَا تَغِيرُونَ عَلَى شَبَابِكُمْ كَيْفَ يُعَاقَبُ بِالنَّارِ وَالْعَذَابِ، وَغَيْرُكُمْ يَفُوزُ بِالْجَنَّةِ وَالثَّوَابِ؟!

قَالُوا: نَعَمْ، وَحَسُنَ رُجُوعُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

* وَأَنْشَدُوا:

أَلَا فَاسْلُكْ إِلَى الْمَوْلَى سَبِيلًا ... وَلَا تَطْلُبْ سِوَى التَّقْوَى دَلِيلَا

وسِرْ فِيهَا بِجِدٍّ وَانْتِهَاضٍ ... تَجِدْ فِيهَا الْمُنَى عَرْضًا وَطُولَا

وَلَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَعَوِّلْ ... عَلَى مَوْلَاكَ وَاجْعَلْهُ وَكِيلَا

وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْتَزَّ عِزًّا ... يَدُومُ فَكُنْ لَهُ عَبْدًا ذَلِيلَا

وَوَاصِلْ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ وَاقْطَعْ ... وِصَالَ الْمُسْرِفِينَ تَكُنْ نَبِيلَا

وَلَا تُفْنِي شَبَابَكَ وَاغْتَنِمْهُ ... وَمَثِّلْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ الرَّحِيلَا

ولا تَصْلِ الدُّنْيَا وَاهْجُرْ بَنِيهَا ... عَلَى طَبَقَاتِهِمْ هَجْرًا جَمِيلَا

وَعَامِلْ فِيهِمُ الْمَوْلَى بِصِدْقٍ ... يَضَعْ لَكَ فِي قُلُوبِهِمْ الْقَبُولَا

موعظة الله للمسلمين

* ويُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]، فَقَالَ:

هَذِهِ مَوْعِظَةٌ وَعَظَ اللهُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحُورَ الْعِينَ تَقُولُ لِوَلِي اللهِ -وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى نَهَرِ الْعَسَلِ وَهِي تُعْطِيهِ الْكَأْسَ، وَهُمَا فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ-:

أَتَدْرِي يَا حَبِيبَ اللهِ مَتَى زَوَّجَنِيكَ اللهُ رَبِّي؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي.

فَتَقُولُ: نَظَرَ إِلَيْكَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، بَعِيدٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَأَنْتَ فِي ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ، فَبَاهَى بِكَ الْمَلَائِكَةَ، وَقَالَ: انْظُرُوا يَا مَلَائِكَتِي إِلَى عَبْدِي، تَرَكَ شَهْوَتَهُ

وَلَذَّتَهُ، وَزَوْجَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَغَفَرَ لَكَ يَوْمَئِذٍ وَزَوَّجَنِيكَ.

* للهِ دَرُّ أَقْوَامٍ لَاطَفَهُمْ بِأُنْسِهِ، فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، أَذَاقَهُمْ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِهِ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ بِحُبِّه يَهِيمُ، أَسْكَنَ قُلُوبَهُمْ حبَّهُ، فَلَيْلُهُمْ بِالْأَشْوَاقِ لَيْلٌ سَلِيمٌ، طَهَّرَهَا مِنَ الْهَوى، فحُبُّ الدُّنْيَا عَنْهَا رَاحِلٌ، وحُبُّ الْآخِرَةِ مُقِيمٌ، عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهُ، فَأَهْلًا بِهِ مِنْ تَنعُّمٍ، وَأَهْلًا بِهِ مِنْ نَعِيمٍ.

لِلْصَالِحِينَ كَرَامَاتٌ وَأَسْرَارُ ... لَهُمْ مِنَ اللهِ تَخْصِيصٌ وَآثَارُ
صَفَتْ قُلُوبُهُمْ للهِ وَاتَّصَفَتْ ... بِالصِّدْقِ وَاكْتَنَفَتْ بِالنُّورِ أَنْوارُ
وَاسْتَغْرَقَتْ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ زَمَانِهِمْ ... فِي طَاعَةِ اللهِ أَوْرَادٌ وَأَذْكَارُ
صَامُوا النَّهَارَ وَقَامُوا اللَّيْلَ مَا سَئِمُوا ... حَتَّى تَعَرَّتْ عَلَى الظَّلْمَاءِ أَسْحَارُ
خَلَوْ بِهِ وَرَوَاقُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلٌ ... حَتَّى لَهُمْ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْهُ أَنْوَارُ
طُوبَى لَهُمْ فَلَقَدْ طَابَتْ حَيَاتُهُمْ ... وشُرِّفَتْ لَهُمْ فِي النَّاسِ أَقْدَارُ
فَازُوا مِنَ اللهِ بِالزُّلْفَى وَأَسْكَنَهُمْ ... جَنَّاتِ عَدْنٍ فَنِعْمَ الدَّارُ وَالجَارُ

الْفَصْلُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

ستَرحل فأين الزاد؟

يَا رَاحِلًا بِلَا زَادٍ وَالسَّفَرُ بَعِيدٌ، الْعَيْنُ جَامِدَةٌ وَالْقَلْبُ أَقْسَى مِنَ الْحَدِيدِ. مَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِالضَّرَّاءِ وَأَنْتَ تَغْرَقُ فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي فِي كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ. مَا أَيْقَظَكَ الشَّبَابُ وَلَا أَنْذَرَكَ الِاكْتِهَالُ، وَلَا نَهَاكَ الْمَشِيبُ، مَا أَرَى صَلَاحَكَ إِلَّا بَعِيدٌ، فَدَيْتُ أَهْلَ الْعَزَائِمِ، لَقَدْ نَالُوا مِنَ الْفَضْلِ الْمَزِيدَ، طَوَوْا فِرَاشَ النَّوْمِ، فَلَهُمْ بُكَاءٌ وَتَعْدِيدٌ، دُمُوعُهُمْ تَجْرِي عَلَى خُدُودِهِمْ، خَدَّتْ فِي الْخُدُودِ أَيَّ تَخْدِيدٍ، مَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ يَا قَلِيلَ الْهِمَّةِ يَا طَرِيدُ.

لِأَمْرٍ مَا تَغَيَّرَتِ اللَّيَالِي ... وَأَنْتَ عَلَى البَطالَةِ لَا تُبَالِي
تَبِيتُ مُنعَّمًا فِي خَفْضِ عَيْشٍ ... وتُصْبِحُ فِي هَوَاكَ رَخِيَّ بَالِي
أَلَمْ تَرَ أَنْ أَثْقَالَ الْخَطَايَا ... عَلَى كَتِفَيْكَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ
أَتَكْسِبُ مَا اكْتَسَبْتَ وَلَا تُبَالِي ... فَهَلْ هُوَ مِنْ حَرامٍ أَوْ مِنْ حَلَالِ
إِذَا مَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا ... كَفَفْتَ النَّفْسَ عَنْ طُرُقِ الضَّلالِ
أَلَا بِأَبِي خَلِيلٌ بَاتَ يُحْيِي ... طَوِيلَ اللَّيْلِ بِالسَّبْعِ الطِّوَالِ
بِقَلْبٍ لَا يُفِيقُ عَنِ اضْطِرَابِ ... وَجَفْنٍ لَا يَكُفُّ عَنِ انْهِمَالِ
أَرَى الْأَيَّامَ تَنْقُلُنَا وَشِيكًا ... إِلَى الْأَجْدَاثِ حَالًا بَعْدَ حَالِ
سَأَقْنَعُ مَا حَيِيتُ بِشَطْرِ بُرٍّ ... أُشَيِّعُهُ بَرِيٍّ مِنْ زُلالِ
إِذَا كَانَ الْمَصِيرُ إِلَى هَلَاكٍ ... فَمَا لِي والتَّنَعُّمُ ثُمَّ مَا لِي
أَمَا لِي عِبْرَةٌ فِيمَنْ تَفَانَى ... عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ عَمٍّ وَخَالِ
كَأَنَّ بِنِسْوَتِي قَدْ قُمْنَ خَلْفِي ... ونَعْشِي فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّجَالِ
يُعَجِّلْنَ الْمَسِيرَ وَلَسْتُ أَدْرِي ... لِدَار الْفَوْزِ أَمْ دَارِ النَّكَالِ

يَبِيــدُ الْكُــلُّ مِنَّــا دُونَ شَــكٍّ وَيَبْقَــى اللهُ رَبِّــي ذُو الْجَــلَالِ

داود الطائي يوبخ نفسه

* يُرْوَى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ دَاوُدَ الطَّائِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى دَاوُدَ، فَقَالَ لِي: مَا حَاجَتُكَ؟ قُلْتُ: زِيَارَتُكَ، فَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ، فَقَدْ عَمِلْتَ خَيْرًا حِينَ زُرْتَنَا؛ وَلَكِنِ انْظُرْ مَا يَنْزِلُ بِي إِذَا قِيلَ لِي: مَنْ أَنْتَ فَتُزَارُ؟ أَمِنَ الْعُبَّادِ أَنْتَ؟ لَا وَاللهِ. أَمِنَ الزُّهَّادِ أَنْتَ؟ لَا وَاللهِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ يُوبِّخُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الشَّبَابِ فَاسِقًا، وَفِي الْكُهُولَةِ مُدَاهِنًا، فَلَمَّا شِخْتُ صِرْتُ مُرَائِيًا. لَا وَاللهِ، إِلَّا الْمُرَائِي، أَشَرُّ مِنَ الْفَاسِقِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا إِلَهَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، هَبْ لِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدَكَ تُصْلِحُ شَبَابِي وَتَقِينِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وتُعْلِي فِي أَعْلَى مَقَامَاتِ الصَّالِحِينَ مَكَانِي.

* [سُبْحَانَ مَنْ] أَسْبَلَ عَلَى الْعَاصِي سِتْرَهُ؛ لِيَعُودَ إِلَى بَابِهِ الْكَرِيمِ، تَقَرَّبَ بِرَحْمَتِهِ لِلْمُذْنِبِينَ؛ لِيُسَكِّنَ رَوْعَ الْمُفْلِسِ مِنَ الطَّاعَةِ الْعَدِيمِ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسَائِلَ اللُّطْفِ عَلَى يَدِي رَسُولٍ كَرِيمٍ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

* وَأَنْشَدُوا:

أَلَا قِـفْ بِبَـابِ الجُـودِ واقْرَعْـهُ نَادِمًـا تَجِــدْهُ مَتَــى جِئْتَــهُ غَيْــرَ مُــرْتَجِ

وَقُــلْ عَبْــدُ سُــوءٍ خوّفَتْــهُ ذُنُوبُــهُ فمَــدَّ إِلَـيْكُمْ ضَـارِعًا كَـفَّ مُرْتَجِـي

من كرامات الصحابة

* ويُرْوَى عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ، فَكَانَ يَخِيطُ فِي السَّفِينَةِ، فَسَقَطَتْ إِبْرَتُهُ، فَقَالَ: أَعْزِمُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ إِلَّا رَدَدْتَ عَلَيَّ إِبْرَتِي، فَظَهَرَتْ لَهُ حَتَّى أَخَذَهَا بِيَدِهِ.

قَالَ: وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَحْرُ، فَقَالَ لَهُ: اسْكُنْ، إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَسَكَنَ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الزَّيْتِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الْفَصْلُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

متى ترجع إلى مولاك؟

يَا أَخِي، أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ فِي اللَّعِبِ، وَغَيْرُكَ فَازَ بِالْمَقْصُودِ، وَأَنْتَ مِنْهُ بَعِيدٌ، غَيْرُكَ عَلَى الْجَادَةِ، وَأَنْتَ مِنَ الشَّهَوَاتِ فِي أَوْحَالٍ وَتَنْكِيدٍ، تُرَى مَتَى يُقَالُ: فُلانٌ اسْتَقَالَ وَرَجَعَ؟ يَا لَهُ مِنْ وَقْتٍ سَعِيدٍ، مَتَى تَخْرُجُ مِنَ الْهوى وَتَرْجعُ إِلَى مَوْلَاكَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ؟

يَا مِسْكِينُ، لَوْ عَايَنْتَ قَلَقَ التَّائِبِينَ، وتَمَلْمُلَ الْخَائِفِينَ مِنْ هَوْلِ الْوَعِيدِ، جَعَلُوا قُرَّةَ أَعْيُنِهِمْ فِي الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالتَّزْهِيدِ، وَأَهْلُ الْحِرْمَانِ ضَيَّعُوا الشَّبَابَ فِي الْغَفْلَةِ، وَالشَّيْبَ فِي الْحِرْصِ وَالْأَمَلِ المَدِيدِ، لَا بِالشَّبَابِ انْتَفَعْتَ، وَلَا عِنْدَ الْمَشِيبِ ارْتَجَعْتَ، يَا ضَيْعَةَ الشَّبَابِ وَالْمَشِيبِ! ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١﴾ [سبأ: ٥١].

* وَأَنْشَدُوا:

عَمِلْتُ عَلَى الْقَبَائِحِ فِي شَبَابِي ... فَلَمَّا شِبْتُ عُدْتُ إِلَى الرِّيَاءِ

فَلَا حِينَ الشَّبَابِ حَفِظْتُ دِينِي ... وَلَا حِينَ الْمَشِيبِ طَبَبْتُ دَائِي

فَشَابٌّ عِنْدَه مَصْغَرِهِ غَوِيٌّ ... وَشَيْخٌ عِنْدَ مَكْبَرِهِ مُرَائِي

قَضَاءٌ سَابِقٌ فِي عِلْمِ غَيْبٍ ... فَيَا اللهِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ

فقير يعظ غنيا

* رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ يُسَمَّى بِأَبِي عَبْدِ رَبِّهِ -وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْلِ دِمَشْقَ مَالًا- وَأَنَّهُ خَرَجَ مُسَافِرًا، فَأَمْسَى إِلَى جَانِبِ نَهْرٍ وَمَرْعَى، فَنَزَلَ فِيهِ، فَسَمِعَ صَوْتًا يُكْثِرُ حَمْدَ اللهِ فِي نَاحِيَةِ الْمَرْجِ. قَالَ: فَاتَّبَعْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ رَجُلاً مَلْفُوفًا فِي حَصِيرٍ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللهِ؟

قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا هَذِهِ الْحَالَةِ؟

قَالَ: نِعْمَةٌ يَجِبُ عَلَيَّ شُكْرُهَا.

فَقُلْتُ: كَيْفَ وَأَنْتَ مَلْفُوفٌ فِي حَصِيرٍ وَأَيُّ نِعْمَةٍ عَلَيْكَ؟!

قَالَ: إِنَّ اللهَ خَلَقَنِي، فَأَحْسَنَ خَلْقِي، وَجَعَلَ مَنْشَئِي وَمَوْلِدِي فِي الْإِسْلَامِ، وَأَلْبَسَنِي الْعَافِيَةَ فِي أَرْكَانِي، وَسَتَرَ عَلَيَّ مَا أَكْرَهُ ذِكْرَهُ، فَمَنْ أَعْظَمُ نِعْمَةً مِمَّنْ أَمْسَى فِي مِثْلِ مَا أَنَا فِيهِ؟.

فَقُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ، لَعَلَّكَ أَنْ تَقُومَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، فَإِنَّا نُزُولٌ عَلَى النَّهْرِ هَاهُنَا بِإِزَائِكَ.

قَالَ: وَلِمَ؟

قُلْتُ: لِتُصِيبَ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ، وَنُعْطِيكَ مَا يُغْنِيكَ عَنْ لُبْسِ الْحَصِيرِ.

قَالَ: مَا لِي فِي ذَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ، فَأَبَى أَنْ يَسِيرَ مَعِي، فَانْصَرَفْتُ وَقَدْ تَقَاصَرَتْ عِنْدِي نَفْسِي ومَقَتُّهَا، وَقُلْتُ: لَمْ أُخَلِّفْ بِدِمَشْقَ رَجُلاً أَكْثَرَ مِنِّي مَالاً، وَأَنَا أَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ.

فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَتُبْتُ وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ بِمَا أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ، رَحَلَ النَّاسُ، وَقَدَّمُوا إِلَيَّ دَابَّتِي، فَصَرَفْتُهَا إِلَى دِمَشْقَ، وَقُلْتُ: مَا أَنَا بِصَادِقٍ فِي التَّوْبَةِ إِنْ أَنَا مَضَيْتُ إِلَى مَتْجَرِي، فَسَأَلَنِي الْقَوْمُ فَأَخْبَرْتُهُمْ، فَعَاتَبُونِي عَلَى الْمَشْيِ مَعَهُمْ فَأَبَيْتُ (أَيْ: رَفَضْتُ).

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى دِمَشْقَ قَالَ نَاقِلُ الْحَدِيثِ: فَوَضَعَ يَدَهُ فِي مَالِهِ وَتَصَدَّقَ بِهِ، وَفَرَّقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَزِمَ الْعِبَادَةَ حَتَّى تُوفِيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا تُوفِي لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُ إِلَّا قَدْرُ حقِّ الْكَفَنِ.

* وَأَنْشَدُوا:

ذَكَـرَ الْوَعِيـدَ فَطَرْفُـهُ لَا يَهْجَـعُ ... وَجَفَـا الرُّقَـادَ فَبَـانَ عَنْـهُ الْمَضْـجَعُ
مُتَفَـرِّدًا بِغَلِيلِـهِ يَشْـكُو الَّـذِي ... مِنْـهُ الْجَـوانِحُ وَالْحَشَـا يَتوجَّـعُ
لَمَّـا تَـيَقَّنَ صِـدْقَ مَـا جَـاءَتْ بِـهِ الْـ ... آيَـاتُ صَـارَ إِلَـى الْإِنَابَـةِ يُسْـرِعُ
فَجَفَـا الْأَحِبَّـةَ فِـي مَحَبَّـةِ رَبِّـهِ ... وَسَـمَا إِلَيْـهِ بِهِمَّـةٍ مَـا يُقْلِـعُ
وَتَمَتَّعَـتْ بِـوِدَادِهِ أَعْضَـاؤُه ... إِذْ خَصَّـهَا مِنْـهُ بِـوُدٍّ يَنْفَـعُ
كَـمْ فِـي الظَّـلَامِ لَـهُ إِذَا نَـامَ الْـوَرى ... مِـنْ زَفْـرَةٍ فِـي إِثْرِهَـا يَتَوَجَّـعُ
وَيَقُـولُ فِـي دَعَوَاتِـهِ يَـا سَـيِّدِي ... الْعَـيْنُ يُسْـعِدُهَا دُمُـوعٌ رُجَّـعُ
إِنِّـي فَزِعْـتُ إِلَيْـكَ فَـارْحَمْ عَبْرَتِـي ... وَإِلَيْـكَ مِـنْ ذُلِّ الْخَطِيئَـةِ أَفْـزَعُ
مَـنْ ذَا سِـوَاكَ يُجِيرُنِـي مِـنْ زَلَّتِـي ... يَـا مَـنْ لِعِزَّتِـهِ أَذِلُّ وَأَخْضَـعُ
فَـامْنُنْ عَلَـيَّ بِتَوْبَـةٍ أَحَيَـا بِهَـا ... إِنِّـي بِمَـا اجْتَرَمَـتْ يَـدَايَ مُـرَوَّعُ
قَـلَّ التَّصَـبُّرُ عَنْـكَ يَـا مَـنْ حُبُّـهُ ... فِـي الْجَارِحَـاتِ سِـقَامُهُ يَتَسَـرَّعُ
كَيْـفَ اصْـطِبَارُ مُتَـيَّمٍ فِـي حُبِّـهِ ... قِـدْمًا لِكَاسَـاتِ الْهَـوَى يَتَجَـرَّعُ
لَاحَـتْ وَعَـنْ صِـدْقِ الْمَحَبَّةِ مَا بَدَتْ ... لِلنَّـاظِرِينَ نُجُـومُ لَيْـلٍ تَطْلُـعُ
مَـا الْفَـوْزُ إِلَّا فِـي مَحَبَّـةِ سَـيِّدِهِ ... فِيهَـا الْمُحِـبُّ إِذَا تَوَاضَـعَ يُرْفَـعُ

الْفَصْلُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ

انظر في أحوالهم لعلك تُفيق

يَا هَذَا، لَا يَزَالُ التَّائِبُونَ يَهْرُبُونَ إِلَى دَيْرِ الخَلْوَةِ هُرُوبَ الْخَائِفِ إِلَى دَارِ الْأَمَانِ، لَهُمْ فِي سَحَرِ اللَّيْلِ تَأَنُّسٌ بِمَدَامِعِ الْأَجْفَانِ، كَتَبَ السُّجُودُ فِي أَلْوَاحِ جِبَاهِهِمْ خُطُوطَ العِرفانِ، كَمْ لِأَقْدَامِهِمْ فِي الدُّجَى مِنْ جَوَلَانٍ، وَكَمْ لَهُمْ فِي وَادِي السَّحَرِ مِنْ عُيونٍ تَجْرِي كَالطُّوفَانِ، فَإِذَا لَاحَتْ أَعْلَامُ الْفَجْرِ كَبَّرُوا عِنْدَ مُشَاهَدَةِ العِيَانِ، فَدَيْتُ طُرَّاقَ الدُّجَى، فَدَيْتُ أَرْبَابَ الْعَزَائِمِ، فَدَيْتُ الفِتْيَانَ.

بَادِروا رَوَاهِبَ الْخَلْوَةِ، نَحْنُ لَكُمْ جِيرَانٌ، تَرَكْنَا الْأَسْبَابَ وَالْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ، فَارَقْنَا شَهَواتِ النُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ، وَخَرَّبْنَا دِيَارَ اللَّهْوِ، فَأَقْفَرَتْ مُنْذُ زَمَانٍ، طَلَّقْنَا الدُّنْيَا بَتَاتًا، وَهَجَرْنَا الدَّارَ وَالسُّكَانَ، سُقِينَا مِنْ شَرَابِ الْأُنْسِ شَرْبَةً وَلَوْ كَانَ مَا كَانَ، لَبِسُوا حُلَّةَ الْجُوعِ بِالنَّهَارِ، وَتَرَكُوا خِدْمَةَ مَنْ جَلَّ ومَنْ هَانَ، عَمَّرُوا الْقُلُوبَ بِالتَّقْوَى، وَبِالذِّكْرِ اللِّسَانَ، أَفْنَاهُمْ الْخَوْفُ وَأَذْبَلَهُمُ الْأَرَقُ وَهُمْ مِنَ الْقَلَقِ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ. سَيَّرَهُمْ ذِكْرُ الْحَبِيبِ وَلَهُمْ فِي التِّلَاوَةِ أَلْحَانٌ، نَالُوا مَنَازِلَ التَّوَكُّلِ، وَأَصْبَحُوا فِيهَا قُطَّانٌ، بَاعُوا شَهَواتِ النُّفُوسِ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ، سَجَّلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ سِجِلَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَأَهْلًا بِالرِّجَالِ الشُّجْعَانِ، تتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ وَلَهُمْ تَلْحِينٌ بِالْقُرْآنِ.

* أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا يَا مُضَيِّعًا عُمُرَهُ فِي الْعِصْيَانِ؟ بَادِرْ قَبْلَ تَغَيُّرِ الْحَالِ، فَتَعُودُ بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ، وَاعْصِ مَنْ لَامَكَ وَخَالِفْ مَنْ عَذَلَكَ، وَأَطِعْ مَنْ نَصَحَكَ وَدَعْ قَالًا وَقِيلًا، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

[الإسراء: ٧١-٧٢]

الْفَصْلُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

تجنب الكبائر واحذر كبيرة الزنى

اعْلَمْ أَنَّ الزِّنَى مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَهُوَ شُؤْمٌ عَلَى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَقَدْ نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾.

[المؤمنون: ٥- ٧]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[١].

أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الزَّانِيَ مُبْعَدٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى، مُسْتَوجِبٌ المَقْتَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

* وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَأْذَنُ لِي فِي الزِّنَى، فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ، فَقَالَ: اتْرُكُوهُ، أُدْنُ مِنِّي، فَقَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: كَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: كَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، حَتَّى ذَكَرَ الْأُخْتَ، وَالْخَالَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبَهُ، وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الزِّنَى[٢].

يَا مَنْ عَصَى اللهَ فِي الشَّبَابِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ الشَّيْبُ رَاقِبِ اللهَ

(١) الْبُخَارِيُّ (٢٤٧٥، وَمَوَاضِعَ)، وَمُسْلِمٌ (٥٧).

(٢) أَحْمَدُ (٢٢٢١١، ٢٢٢١٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

صُحُفُكَ بِالسَّيِّئَاتِ قَدْ مُلِئَتْ بِأَيِّ وَجْهٍ تَرَاكَ تَقْرَاهَا
أُعْدُدْ جَوابًا إِذَا سُئِلْتَ غَدًا وَقَرِّبِ النَّارَ مِنْكَ مَوْلَاهَا
يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَمْ رَجُلٍ تَلُومُهُ النَّارُ حِينَ يَصْلَاهَا

* وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ تَزْنِي، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» [١].

* وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ لِغِلْمَانِهِ: إِنْ أَرَدْتُمُ النِّكَاحَ نَكَحْتُمْ -أَيْ: تَزَوَّجْتُمْ-، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا زَنَى، خَرَجَ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِهِ فَلَا يَبْقَى لِلْعَبْدِ إِيمَانٌ.

* وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: إِيَّاكَ وَالزِّنَى، فَإِنَّ أَوَّلَهُ مَخَافَةٌ، وَآخِرَهُ نَدَامَةٌ، وَمِنْ بَعْدُ تَلْقَى آثَامَهُ.

* وَأَنْشَدُوا:

يَا مَنْ خَلَا بِمَعَاصِي اللهِ فِي الظُّلَمِ فِي اللَّوْحِ يُكْتَبُ فِعْلُ السُّوءِ بِالْقَلَمِ
بِهَا خَلَوْتَ وَعَيْنُ اللهِ نَاظِرَةٌ وَأَنْتَ بِالْإِثْمِ مِنْهُ غَيْرُ مُكْتَتِمِ
فَهَلْ أَمِنْتَ الْمَوْلَى مِنْ عُقُوبَتِهِ يَا مَنْ عَصَى اللهَ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

* وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ غَلَبَهُ هَوَاهُ افْتُضِحَ، فَمَا نَالَ الْكَرَامَاتِ مَنْ نَالَهَا إِلَّا بِغَلَبَةِ الْهَوَى.

قصة مؤثره لعابد ابتعد عن الزنا

* وحُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ صِدِّيقٌ مُنفردٌ لِلْعِبَادَةِ، فَأَقَامَ فِي صَوْمَعَتِهِ دَهْرًا طَوِيلاً، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ لَهَا حُسْنٌ وَجَمَالٌ عِنْدَ الْمَغْرِبِ، فَنَادَتْهُ: يَا عَبْدَ اللهِ،

فَقَالَ لَهَا: لَبَّيْكِ. فَقَالَتْ لَهُ: أَيَرَاكَ رَبُّكَ؟

قَالَ لَهَا: هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الْعَالِمُ بِمَا فِي الصُّدُورِ، وَبَاعِثُ

---

(١) الْبُخَارِيُّ (١٠٤٤، ٥٢٢١، وَغَيْرُهُمَا)، وَمُسْلِمٌ (٩٠١).

مَنْ فِي الْقُبُورِ.

قَالَتْ لَهُ: البَلَدُ مِنِّي بَعِيدٌ.

قَالَ لَهَا: اصْعَدِي، فَلَمَّا صَارَتْ فِي صَوْمَعَتِهِ، رَمَتْ بِثِيَابِهَا، وَقَامَتْ عُرْيَانَةً، تَجْلُو نَفْسَهَا عَلَيْهِ، فَغَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا. وَقَالَ لَهَا: وَيْلَكِ، اسْتُرِي نَفْسَكِ.

قَالَتْ لَهُ: مَا يَضُرُّكَ إِذَا تَمَتَّعْتَ بِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟

فَقَالَ لِنَفْسِهِ: يَا نَفْسُ، وَمَا تَقُولِينَ؟

قَالَتْ: وَاللهِ إِنِّي أَتَمَتَّعُ بِهَا.

قَالَ لَهَا: وَيْحَكِ! أَتُرِيدِينَ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ ومُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، وَتَذْهَبِينَ بِعِبَادَتِي هَذِهِ الْمُدَّةَ؟ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ زَنَى عُفِي عَنْهُ، وَإِنَّ الزَّانِيَ يُكَبُّ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ، وَهِيَ نَارٌ لَا تُطْفَأُ، وَعَذَابُهَا لَا يَفْنَى، وَأَخَافُ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا يَرْضَى أَبَدًا عَنْكِ.

فَرَاوَدَتْهُ نَفْسُهُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ: أَعْرِضُ عَلَيْكِ نَارًا صَغِيرَةً، فَإِنْ صَبَرْتِ عَلَيْهَا، مَتَّعْتُكِ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ اللَّيْلَةَ.

قَالَ: فَمَلَأَ السِّرَاجَ دُهْنًا، وَأَغْلَظَ الْفَتِيلَةَ، وَالْمَرْأَةُ تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ، ثُمَّ أَلْقَى يَدَهُ إِلَى الْفَتِيلَةِ، وَهِيَ تَتَّقِدُ، فَصَاحَ بِالْفَتِيلَةِ: مَا لَكِ؟ أَحْرِقِي، فَأَكَلَتْ إِبْهَامَهُ، ثُمَّ أَكَلَتْ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ أَكَلَتْ يَدَهُ، فَصَاحتْ الْجَارِيَةُ صَيْحَةً عَظِيمةً، فَارَقَتِ الدُّنْيَا.

الْفَصْلُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

فضيلة الصمت

* حُكِي أَنَّ مَرْيَمَ لَمَّا نَذَرَتْ أَلَّا تَتَكَلَّمَ، وَحَبَسَتْ لِسَانَهَا لِأَجْلِ اللهِ تَعَالَى، أَطْلَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِسَانَ صَبِيٍّ لَا يَعْرِفُ الْخِطَابَ، أَنْطَقَهُ اللهُ لِأَجْلِهَا.

* فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ لِأَجْلِ اللهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، أَطْلَقَ اللهُ لِسَانَهُ بِالشَّهَادَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلِقَاءِ اللهِ تَعَالَى. وَمَنْ سَرَّحَ لِسَانَهُ فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، وَاتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ أَمْسَكَ اللهُ لِسَانَهُ عَنِ الشَّهَادَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

* وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَضَعُ فِي فِيهِ حَجَرًا لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْكَلَامِ.

* وَأَوْصَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَلَدَهُ الْحَسَنَ، فَقَالَ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، فَإِنَّ تِلَافَ الْمَرْءِ فِي مَنْطِقِهِ.

* وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ، أَوْ وَهْنًا فِي بَدَنِكَ، أَوْ حِرْمَانًا فِي رِزْقِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ بِمَا لَا يَعْنِيكَ.

* وَقَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، مَنْ رَحِمَ يُرْحَمْ، وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ، وَمَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ يَغْنَمْ، وَمَنْ يَفْعَلِ الشَّرَّ يَأْثَمْ، وَمَنْ لَا يَمْلُكُ لِسَانَهِ يَنْدَمْ.

* وَأَنْشَدُوا:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ... لَا يَقْتُلَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ ... كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

* [وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رَفَعَهُ (إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) قَالَ:] إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١٩٠٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٠٧)، وَغَيْرُهُمَا، وَاخْتُلِفَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ، وَالرَّاجِحُ الرَّفْعُ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٥١).

* وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: احْبِسْ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يَطُولَ حَبْسُكَ، وَتَتْلَفَ نَفْسُكَ، فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ حَبْسٍ مِنَ اللِّسَانِ لِيَقْصُرَ عَلَى الصَّوابِ ويُسْرِعَ إِلَى الْجَوابِ.

* قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: تَرْكُ فَضُولِ الْكَلَامِ يُثْمِرُ النُّطْقَ بِالْحِكْمَةِ، وَتَرْكُ فُضُولِ النَّظَرِ يُثْمِرُ الْخُشُوعَ وَالْخَشْيَةَ، وَتَرْكُ فُضُولِ الطَّعَامِ يُثْمِرُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ، وَتَرْكُ الضَّحِكِ يُثْمِرُ حَلَاوَةَ الْهَيْبَةِ، وَتَرْكُ الرَّغْبَةِ فِي الْحَرَامِ يُثْمِرُ الْمَحَبَّةَ، وتَرْكُ التَّجَسُّسِ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ يُثْمِرُ صَلَاحَ الْعُيُوبِ، وَتَرْكُ التَّوَهُّمِ فِي اللهِ يَنْفِي الشَّكَّ وَالشِّرْكَ وَالنِّفَاقَ.

* وَأَنْشَدُوا:

الصَّمْتُ نَفْعٌ وَالْكَلَامُ مَضَرَّةٌ ... فَلَرُبَّ صَمْتٍ فِي الْكَلَامِ شِفَاءُ

فَإِذا أَرَدْتَ مِنَ الْكَلَامِ شِفَاءً ... لِسِقَامِ قَلْبِكَ فَالْقُرْآنُ دَوَاءُ

خطورة التجسس على العورات

* وَاعْلَمْ أَنَّ التَّجَسُّسَ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَتَطَلُّبَ مَسَاوِئِهِمْ، يُبْدِي الْعَوَرَاتِ، وَيَكْشِفُ الْمُخبَّآتِ، وَقَدْ نَهَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، فَاتَّقِ اللهَ وَاشْتَغِلْ بِعُيوبكَ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَلَا تَكُنْ كَمَثْلِ الذُّبَابِ الَّذِي لَا يُعرِّجُ عَلَى الْمَوَاضِعِ السَّلِيمَةِ مِنَ الْجَسَدِ وَلَا يَنْزِلُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يَقعُ عَلَى الْقُرُوحِ فَيُدْمِيهَا.

فَمَنْ بَحَثَ عَنْ مَسَاوِئِ النَّاسِ وَاتَّبَعَ عَوَرَاتِهِمْ، وَاشْتَغَلَ بِعَيْبِ غَيْرِهِ، وَتَرَكَ عَيْبَهُ، سَلَّطَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مَنْ يَبْحَثُ فِي عَيْبِهِ وَمَسَاوِئِهِ لِيَشْهَرَهَا، وَيَتَّبِعُ عَوْرَتَهُ وَيُبْدِيهَا وَيَنْشُرَهَا.

فَالْعَاقِلُ السَّعِيدُ مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِهِ، وَشُغِلَ بِذَلِكَ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ، وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللهِ تَعَالَى.

* وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا أَخِي، إِيَّاكَ أَنْ تُعَيِّرَ أَحَدًا بِمَا فِيهِ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْتَلِيكَ اللهُ وَيُعَافِيَهُ، وَلَا تَسْتُرْ عَلَى الْفَاجِرِ الظَّاهِرِ فُجُورُهُ، وَلَا عَلَى مَنْ لَا يَسْتَتِرُ بِالْمَعْصِيَةِ وَيُعْلِنُ بِهَا.

* قَالَ ﷺ: «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ، أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

رفق أبي حنيفة بالعصاة

* وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَسْكُنُ بِجِوَارِهِ شَابٌّ مُولَعٌ بِشُرْبِ الْخَمْرِ، فَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَسْهَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ وَالْقِرَاءَةِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّابِّ جِدَارٌ، فَكَانَ يَشْرَبُ وَيَتَمَثَّلُ:

سَأُنْشِدُهُمْ إِذَا مَا هُمْ جَفَوْنِي ... أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا

وَيُكْثِرُ التَّرَدُّدَ بِهَذَا الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَسْتَأْنِسُ بِكَلَامِهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، لَمْ يَسْمَعْ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ حِسًّا، فَلَمَّا خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ سَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ صَاحِبَ الشُّرْطَةِ لَقَاهُ مَخْمُورًا، فَحَمَلَهُ إِلَى السِّجْنِ، فَلَمَّا صَلَّى أَبُو حَنِيفَةَ، مَضَى إِلَى مَنْزِلِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ، وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَهُ بِنَفْسِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ حَافِيَ الْقَدَمَيْنِ، عَارِيَ الرَّأْسِ، وَقَبَّلَ يَدَهُ، وَقَالَ: يَا سَيِّدِي، وَمَا بَلَغَ مِنْ قَدْرِي حَتَّى تَأْتِيَنِي إِلَى مَنْزِلِي؟ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنِّي جِئْتُكَ فِي قَضِيَّةِ جَارٍ لِي سُجِنَ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ: أُشْهِدُكَ يَا سَيِّدِي أَنِّي أَطْلَقْتُهُ وَجَمِيعَ مَنْ سُجِنَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ. قَالَ: وَانْصَرَفَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالرَّجُلُ مَعَهُ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: هَلْ ضَيَّعْنَاكَ يَا أَخِي، أَمْ قُمْنَا بِحَقِّكَ رَعْيًا لِقَوْلِكَ: أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا؟

فَقَالَ: لَا -وَاللهِ- لَمْ تُضَيِّعْنِي، بَلْ رَعَيْتَنِي، جَزَاكَ اللهُ عَنِ الْجِوَارِ خَيْرًا، وَأُشْهِدُكَ أَنِّي تَائِبٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى.

قَالَ: فَلَزِمَ الْإِمَامَ، وَعَبَدَ اللهَ تَعَالَى حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ.

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٤٣١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٤٦٠)، وَابْنُ مَاجَه (٢١٩٩)، وَغَيْرُهُمْ.

الْفَصْلُ التّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

ذم الغيبة والنميمة

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبْغَضُ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ كُلُّ طَعَّانٍ لَعَّانٍ.

* وَقَالَ حَاتِمٌ الْأَصَمُّ: ثَلَاثَةٌ إِذَا كُنَّ فِي مَجْلِسٍ فَالرَّحْمَةُ مَصْرُوفَةٌ عَنْهُ: ذِكْرُ الدُّنْيَا، وَالضَّحِكُ، وَالْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ.

* وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ النَّمِيمَةَ تُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا، وَتُغَيِّرُ الْقُلُوبَ، وتُوَلِّدُ الْبَغْضَاءَ وسَفْكَ الدِّمَاءِ والشَّتَاتَ.

قَالَ اللهُ العَظِيمُ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم ١٠-١٣].

* وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْغِيبَةِ فَقَالَ: «أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْكَ، وَإِنْ ذَكَرْتَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ» -أَيْ: فَذَلِكَ الْبُهْتَانُ-(١).

* وَقَالَ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ» -يَعْنِي نَمَّامًا-(٢).

* قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: النَّمِيمَةُ تَهْدِي إِلَى الْقُلُوبِ الْبَغْضَاءَ، وَمَنْ وَاجَهَكَ فَقَدْ شَتَمَكَ، ومَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ فَقَدْ نَقَل عَنْكَ، وَالسَّاعِي بِالنَّمِيمَةِ كَاذِبٌ لِمَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ، وَخَائِنٌ لِمَنْ يَسْعَى بِهِ.

* قَالَ الشَّاعِرُ:

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تُؤْذِ بِهِ أَحَدًا … مَنْ قَالَ فِي النَّاسِ عَيْبًا قِيلَ فِيهِ بِمِثْلِه

---

(١) مُسْلِمٌ (٢٥٨٩)، وَلَفْظُهُ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٦٠٥٦)، وَمُسْلِمٌ (١٠٥).

وصية نفيسة لأعرابية

* قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: شَاهَدْتُ أَعْرَابِيَّةً وَهِي تُوصِي ابْنَهَا، فَقَالَتْ:

يَا بُنَيَّ، أَمْنَحُكَ وَصِيَّتِي وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ، فَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ، فَإِنَّهَا تُورِثُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْأَهْلِينَ، وتُفرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيوبِ؛ فَتَصِيرَ لَهَا أَهْلاً، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ، وَالْبَخْلَ بِمَالِكَ، وَمَثِّلْ لِنَفْسِكَ مِثَالًا مِنْ غَيْرِكَ، فَمَا اسْتَحْسَنْتَهُ مِنَ النَّاسِ فَافْعَلْهُ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَهُ مِنْهُمْ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ.

ثُمَّ أَمْسَكَتْ (أَيْ سَكَتَتْ)، فَقُلْتُ: يَا أَعْرَابِيَّةُ، بِاللهِ إِلَّا زِدْتِيهِ.

فَقَالَتْ: يَا حَضَرِيُّ، أَعْجَبَكَ كَلامُ الْعَرَبِ؟ فَقُلْتُ: إِيْ -واللهِ-.

فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَالْغَدْرَ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ مَا تُعَامِلُ بِهِ النَّاسُ، وَاجْمَعْ بَيْنَ السَّخَاءِ وَالْعِلْمِ، وَالتَّوَاضُعِ وَالْحَيَاءِ، وَأَسْتَوْدِعُكَ اللهَ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ.

* وَقِيلَ: مَثَلُ صَاحِبِ الْغِيبَةِ كَمَثَلِ مَنْ نَصَبَ مَنْجَنِيقًا، فَهُو يَرْمِي بِهِ حَسَنَاتِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَشَرْقًا وَغَرْبًا.

* وَأَوْحَى اللهُ تَعَالى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَتُحِبُّ أَنْ أَنْصُرَكَ عَلَى عَدُوِّكَ؟ قَالَ: بِمَ؟ قَالَ: بِرَدِّكَ الْغِيبَةَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

* فَإِيَّاكَ يَا أَخِي، وَالتَّعَرُّضَ لِلْأَقْدَارِ، وَأَنْ تَغْتَابَ أَحَدًا بِمَا أَوْدَعَ فِيهِ الْجَبَّارُ، فَإِنَّ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ أَعْلَمُ بِهِ وَأَحْكَمُ، وَلَوْ شَاءَ لَأَهْلَكَهُ وَانْتَقَمْ.

استسلام عيسى عليه السلام لأقدار الله

* يُرْوَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهُ السَّلَامُ مَرَّ بِبَعْضِ الْأَنْهَارِ، فَإِذَا بِصِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، وَمَعَهُمْ صَبِيٌّ أَعْمَى قَدْ كُفَّ بَصَرُهُ، وَهُمْ يَغْمِسُونَهُ فِي الْمَاءِ، وَيَفِرُّونَ مِنْهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَهُوَ يَطْلُبُهُمْ وَلَا يَظْفَرُ بِهِمْ، فَفَكَّرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمْرِهِ، وَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ، وَأَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ،

فَلَمَّا فَتَّحَ عَيْنَيْهِ وَرَآهُمْ وَثَبَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَتَعَلَّقَ بِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَغْمِسُهُ فِي الْمَاءِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَطَلَبَ آخَرَ فَتَعَلَّقَ بِهِ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ، وهَرَبَ الْبَاقُونَ.

فَرَأَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ، فَتَعَجَّبَ، وَقَالَ: يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، أَنْتَ بِخَلْقِكَ أَعْلَمُ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يَرُدَّهُ كَمَا كَانَ وَيَكْفِيَهُمْ أَمْرَهُ.

فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ كُنْتُ أَعْلَمْتُكَ وَتَعَرَّضْتَ إِلَيَّ فِي حُكْمِي وَتَدْبِيرِي، فَخَرَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاجِدًا.

* وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجْرِي فِي هَذَا الْعَالَمِ أَمْرٌ إِلَّا وَلِلْمَوْلَى فِيهِ حُكْمٌ وَتَدْبِيرٌ.

الغيبة تمنع من دخول الجنة

* قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيُّ بْنُ فَرْحُونَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بالزَّاهِرِ: كَانَ لِي عَمٌّ، وَتُوفِي فِي مَدِينَةِ فَاسٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ دَاخِلٌ عَلَيَّ فِي دَارِي، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَلَاقَيْتُهُ بِقُرْبِ الْبَابِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَدَخَلْتُ خَلْفَهُ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ فِي الْبَيْتِ، قَعَدَ وَاسْتَنَدَ بِظَهْرِهِ إِلَى الْجِدَارِ، فَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ شَاحِبَ اللَّوْنِ مُتَغَيِّرًا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَمَّاهُ، مَاذَا لَقِيتَ مِنْ رَبِّكَ؟ قَالَ: مَا يَلْقَى مِنَ الْكَرِيمِ يَا بُنَيَّ، سَمِحَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي الْغِيبَةِ، فَإِنِّي مَنْذُ فَارَقْتُ الدُّنْيَا إِلَى الْآنَ مَحْبُوسٌ فِيهَا، مَا سَمِحَ لِي بَعْدُ فِيهَا، فَأَنَا أُوْصِيكَ يَا بُنَيَّ: إِيَّاكَ وَالْغِيبَةَ وَالنَّمِيمَةَ، فَمَا رَأَيْتُ فِي هَذِهِ الدَّارِ شَيْئًا أَشَدَّ بَطْشًا وَطَلَبًا مِنَ الْغِيبَةِ. وَتَرَكَنِي وَانْصَرَفَ.

* وأنشدوا:

يَمُوتُ كُلُّ الْأَنَامِ طُرًّا[1] ... مِنْ صَالِحٍ كَانَ أَوْ خَبِيثِ

فَمُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ ... مِنْهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ

---

(١) أَيْ: جَمِيعًا.

* وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيُدْفَعُ لَهُ كِتَابُهُ، فَلَا يَرَى فِيهِ صَلَاتَهُ وَلَا صِيَامَهُ، وَلَا يَرَى أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ، هَذَا كِتَابُ غَيْرِي، كَانَتْ لِي حَسَنَاتٌ لَيْسَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ رَبَّكَ لَا يَضِلُّ وَلَا يَنْسَى، ذَهَبَ عَمَلُكَ بِاغْتِيَابِكَ النَّاسَ.

* فَإِيَّاكَ يَا أَخِي وَالْغِيبَةَ وَالنَّمِيمَةَ، فَإِنَّهُمَا يَضُرَّانِ بِالدِّينِ، وَيُحْبِطَانِ عَمَلَ الْعَامِلِينَ، وَتُورِثُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، أَعَاذَنَا اللهُ تَعَالى مِنْهَا.

الْفَصْلُ الْمُوفِّي ثَلَاثِينَ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»[١].

* فَالْغِيبَةُ بِالْقَلْبِ حَرَامٌ، كَمَا هِي بِاللِّسَانِ حَرَامٌ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ لِمَعْرِفَتِهِ، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُهُ التَّجَاهُلُ،

تعريف الغيبة

فَحَدُّ الغِيبَةِ كَمَا بَيَّنَهُ رَسُولُهُ ﷺ وَهُو أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ[٢] إِنْ بَلَغَهُ أَوْ سَمِعَهُ -وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا- سَوَاءٌ ذَكَرْتَ نُقْصَانًا فِي نَفْسِهِ، أَوْ عَقْلِهِ، أَوْ ثَوْبِهِ، أَوْ فِي فِعْلِهِ، أَوْ فِي قَوْلِهِ أَوْ فِي دِينِهِ، أَوْ فِي دَارِهِ، أَوْ فِي دَابَّتِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، أَوْ فِي عَبْدِهِ، أَوْ فِي أَمَتِهِ، أَوْ بِشَيْءٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، حَتَّى قَوْلُكَ: إِنَّهُ وَاسِعُ الْكُمِّ، طَوِيلُ الذَّيْلِ.

* وَأَشَارَتْ عَائِشَةُ إِلَى صَفِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَقَالَتْ لَهَا كَذَا وَكَذَا، وَأَشَارَتْ بِيَدِهَا، تَعْنِي قِصَرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اغْتَبْتِيهَا يَا عَائِشَةُ»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَتْ هِي قَصِيرَةً؟ قَالَ: «إِنَّكِ ذَكَرْتِ أَقْبَحَ شَيْءٍ فِيهَا»[٣].

* وَالْغَيْبَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى اللِّسَانِ، بَلْ كُلُّ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ عِرْضٌ يَكْرَهُهُ الْمَذْكُورُ فِيهِ إِنْ بَلَغَهُ أَوْ سَمِعَهُ، بِالْيَدِ، أَوْ بِالرِّجْلِ، أَوْ بِالْإِشَارَةِ، أَوْ بِالْحَرَكَةِ، أَوْ بِالتَّعْرِيضِ أَوْ بِالْمُحَاكَاةِ، فَهِي غِيبَةٌ.

* وَقَدْ عَظَّمَ اللهُ تَعَالَى أَمْرَ الْغِيبَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ

---

(١) مُسْلِمٌ (٢٥٦٤)، وَلَفْظُهُ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ (ص٩٤).

(٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥٥٦٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٧٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٠٢)، وَلَفْظُهُ: «عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، - تَعْنِي قَصِيرَةً -، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ».

أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

عقوبة من يغتاب الناس

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١].

فَقِيلَ مَعْنَاهُ: الطَّاعِنُ فِي النَّاسِ، الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ.

* وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ بِأَظْفَارِهِمْ، فَقِيلَ لِي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ»[١].

---

(١) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٣٤٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٧٨)، وَلَفْظُهُ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ».

الْفَصْلُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ

وجوب حفظ اللسان

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[١].

وَقَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»[٢].

وَقَالَ: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى رَأْسُهُ، تَدَاعَى بَقِيَّةُ جَسَدِهِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[٣]

وَقَالَ مُعَاذٌ رضي الله عنه لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا نَقُولُ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ جَبَلٍ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»[٤].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[٥].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»[٦].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٧].

---

(١) الْبُخَارِيُّ (١٠، ٦٤٨٤)، وَمُسْلِمٌ (٤١).

(٢) الْبُخَارِيُّ (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٦٤، ٢٥٨٠).

(٣) الْبُخَارِيُّ(٦٠١١)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٨٦)، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ.

(٤) حَسَنٌ بِشَوَاهِدِهِ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢٠١٦، وَمَوَاضِعَ)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦١٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (١١٣٣٠)، وَابْنُ مَاجَه (٣٩٧٣)، وَغَيْرُهُمْ.

(٥) الْبُخَارِيُّ (٦٠١٨، ٦٠١٩، وَمَوَاضِعَ)، وَمُسْلِمٌ (٤٧، ٤٨).

(٦) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ» (١٨)، وَالطَّبَرَانِي فِي «الْكَبِيرِ» (١٠/ رَقَم ١٠٤٤٦)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٤/ ١٠٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٤٥٨٤)، وَغَيْرُهُمْ.

(٧) صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ: أَخْرَجَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ: مَالِكٌ (٢٨١٨)، وَأَحْمَدُ (١٥٨٥٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٣١٩)، وَابْنُ مَاجَه (٣٩٦٩)، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ»(١).

* وَقِيلَ: لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَكَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، وَقَلْبُ الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ.

احذر من العُجب

* **وَإِيَّاكَ يَا أَخِي وَالْعُجْبَ**، فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ كَيْفَ كَانَ: بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْقَوْلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِفِعْلِكَ وَلَا بِقَوْلِكَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾. [النجم: ٣٢].

وَقَالَ ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الذَّنْبِ، وَهُوَ الْعُجْبُ»(٣).

وَقِيلَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ مُسِيئًا؟ قَالَتْ: إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْهَلَاكُ فِي اثْنَتَيْنِ: الْقُنُوطِ وَالْعُجْبِ.

وَإِنَّمَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّ الْقَانِطَ لَا يَطْلُبُ السَّعَادَةَ لِقُنُوطِهِ، وَإِنَّ الْمُعْجَبَ لَا يَطْلُبُهَا لِظَنِّهِ أَنَّهُ ظَفَرَ بِهَا.

---

(١) الْبُخَارِيُّ (٦٤٧٧، ٦٤٧٨) بِنَحْوِهِ، وَمُسْلِمٌ (٢٩٨٨) مُقْتَصِرًا عَلَى نَحْوِ حَرْفِهِ الْأَوَّلِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٥٤٥٢، ٥٧٥٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٧٣١)، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (١٨٠٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْقُضَاعِي فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (١٤٤٧)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٦٥٨).

لحن المقال ولحن الأفعال

* وَذُكِرَ أَنَّهُ حَضَرَ بَعْضُ النَّحْوِيِينَ فِي مَجْلِسِ ابْنِ شَمْعُونَ الْوَاعِظِ، وَكَانَ مِنَ الزُّهَّادِ، فَكَأَنَّ النَّحْوِيَّ أَخَذَ عَلَى الشَّيْخِ لَحْنًا فِي لِسَانِهِ، وَغَلَطًا فِي كَلَامِهِ، فَانْقَطَعَ عَنْهُ النَّحْوِيُّ، وَلَمْ يَأْتِ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ شَمْعُونَ: أَرَاكَ مِنَ الْإِعْجَابِ رَضِيتَ أَنْ تَقِفَ دُونَ الْبَابِ، أَمَا سَمِعْتَ رِسَالَةَ بَعْضِ الْعَارِفِينَ إِلَى بَعْضِ الْمُتَأَدِّبِينَ.

كَتَبَ إِلَيْهِ: مَنِ اعْتَمَدَ عَلَى ضَبْطِ أَقْوَالِهِ، لَحَنَ فِي أَفْعَالِهِ، إِنَّكَ رَفَعْتَ وَخَفَضْتَ وَجَزَمْتَ، تُهْتَ وَانْقَطَعْتَ.

أَلَا رَفَعْتَ إِلَى اللهِ جَمِيعَ الْحَاجَاتِ؟ أَلَا خَفَضْتَ صَوْتَكَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ؟ أَلَا نَصَبْتَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ مِيزَانَ الْمَمَاتِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يُقَالُ غَدًا لِعَبْدٍ: لِمَ لَمْ تَكُنْ مُعْرِبًا وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ: لِمَ كُنْتَ مُذْنِبًا.

يَا هَذَا، لَيْسَ الْمَرْغُوبُ الْفَصَاحَةَ فِي الْمَقَالِ، وَإِنَّمَا الْمَرْغُوبُ الْفَصَاحَةُ فِي الْفِعَالِ. وَلَوْ كَانَتِ الْفَصَاحَةُ مَحْمُودَةً فِي الْمَقَالِ دُونَ الْفِعَالِ، لَكَانَ هَارُونُ أَوْلَى بِالرِّسَالَةِ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ قَوْلِ مُوسَى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]. فَجُعِلَتِ الرِّسَالَةُ لِمُوسَى لِفَصَاحَةِ أَفْعَالِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.

* وَأَنْشَدُوا:

وَلَاحِنٌ فِي الفِعَالِ ذُو زَلَلٍ ... حَتَّى إِذَا جَاءَ قَوْلُهُ وَزَنَه
قَالَ وَقَدْ أَكْسَبَهُ لَفْظُهُ ... تِيهًا وَعُجْبًا أَخْطَأْنَ يَا لُحَنَه
قُلْتُ أَخْطَأَ الَّذِي يَقُومُ غَدًا ... وَلَا يُرَى فِي كِتَابِهِ حَسَنَه

* رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا نَظَرَ إِلَى بِشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ السُّلَيْمِي رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ،

ويُحْسِنُ الْعِبَادَةَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ: لَا يَغُرَّنَّكَ مَا رَأَيْتَ مِنِّي، فَإِنَّ إِبْلِيسَ -لَعَنَهُ اللهُ- عَبَدَ اللهَ آلَافًا مِنَ السِّنِينَ ثُمَّ صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ.

* فَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُقِرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.

احذر المهلكات الأربع

* قِيلَ الْمُهْلِكَاتِ أَرْبَعٌ هِيَ: أَنَا، وَنَحْنُ، وَلِي، وَعِنْدِي.

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النَّادِمُ عَلَى الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[١].

* قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنْ نَاقَدْتَ النَّاسَ نَاقَدُوكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ، وَإِنْ هَرَبْتَ مِنْهُمْ أَدْرَكُوكَ، فَالْعَاقِلُ مَنْ وَهَبَ نَفْسَهُ وعِرْضَهُ لِيَوْمِ فَقْرِهِ، وَمَا تَجرَّعَ مُؤْمِنٌ جُرْعَةً أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْظٍ كَظْمَهُ، فَاعْفُوا يُعِزُّكُمُ اللهُ، وَإِيَّاكُمْ وَدَمْعَةَ الْيَتِيمِ، وَدَعْوةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَسْرِي باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.

* وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَعْظَمُ الْخَطَايَا الْكَذِبُ، وَسَبُّ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ، وَمَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ يَكْظِمِ الْغَيْظَ يَأْجُرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَغْفِرْ يَغفرِ اللهُ لَهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرَّزِيَّةِ يُعْقِبْهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا.

كظم الغيظ

* وحُكِيَ أَنَّ غُلَامًا لِجَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَكَبَ عَلَى يَدِهِ الْمَاءَ فِي الطَّشْتِ، فَطَارَ الْمَاءُ عَلَى ثَوْبِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ جَعْفَرٌ نَظْرَةً مُنْكَرَةً، فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا مَوْلَايَ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قَالَ: كَظَمْتُ غَيْظِي. قَالَ الْغُلَامُ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قَالَ: عَفَوْتُ عَنْكَ. قَالَ الْغُلَامُ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قَالَ اذْهَبْ، أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَلَكَ مِنْ مَالِي أَلْفُ دِينَارٍ.

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجه (٤٢٥٠)، وَغَيْرُهُ، وَلَفْظُهُ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ...»، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٣١٤٥).

صفات حامل القرآن

* وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا، حَلِيمًا سَكُوتًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا، وَلَا غَافِلًا، وَلَا سَخَّابًا، وَلَا صَيَّاحًا، وَلَا حَدِيدًا، وَلَا مُنْزَعِجًا.

* قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ: اغْتَنِمُوا مِنْ زَمَانِكُمْ خَمْسًا: إِنْ حَضَرْتُمْ لَمْ تُعْرَفُوا، وَإِنْ غِبْتُمْ لَمْ تُفْقَدُوا، وَإِنْ شَهِدْتُمْ لَمْ تُشَاوَرُوا، وَإِنْ قُلْتُمْ شَيْئًا لَمْ يُقْبَلْ قَوْلُكُمْ، وَإِنْ عَمِلْتُمْ شَيْئًا لَمْ تُغْبَطُوا بِهِ.

وَأُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ أَيْضًا: إِنْ ظُلِمْتُمْ لَمْ تَظْلِمُوا، وَإِنْ مُدِحْتُمْ لَمْ تَفْرَحُوا، وَإِنْ ذُمِمْتُمْ لَمْ تَجْزَعُوا، وَإِنْ كُذِّبْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا، وَإِنْ خَانُوكُمْ فَلَا تَخُونُوا.

الْفَصْلُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ

التحذير من الوقوع في الربا

اعْلَمْ أَنَّ الرِّبَا مِنَ الْمُهْلِكَاتِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَإِنَّ أَدْنَى الرِّبَا كَالَّذِي يَزْنِي مَعَ أُمِّهِ[١]، وَالزَّنْيَةُ مَعَ الْأُمِّ أَعْظَمُ الْأُمُورِ وِزْرًا مِنْ سَبْعِينَ زَنْيَةً مَعَ غَيْرِهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دِرْهَمُ الرِّبَا أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي الْإِسْلَامِ»[٢].

وَقَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَقَالَ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُ رُؤْيَا؟ قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَكَرَ ﷺ حَدِيثَ الرِّبَا. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ وَفِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ، وَعَلَى شَاطِئِ النَّهَرِ رَجُلٌ قَائِمٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ لِيَخْرُجَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، رَمَاهُ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ (أَيْ: فَمِهِ)، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ حَجَرًا، فَرَجَعَ كَمَا كَانَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٧١٥١)، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٥٣٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٦٨٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٥١٣٠)، وَغَيْرُهُمَا، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (١٨٥٦).

قَالَ: فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي: هَذَا آكِلُ الرِّبَا يُفْعَلُ بِهِ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[١].

* وَأَنْشَدُوا:

أَيَا ذَا الَّذِي قَلْبُهُ مَيِّتٌ ... بِأَكْلِ الرِّبَا ازْدَجِرْ وَانْتَبِهِ

فَكَمْ نَائِمٍ نَامَ فِي غِبْطَةٍ ... أَتَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي نَوْمَتِهِ

وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ عَلَى لَذَّةٍ ... دَهَتْهُ الْحَوادِثُ فِي لَذَّتِهِ

وَكَمْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى ظَهْرِهَا ... سَيَأْتِي الزَّمَانُ عَلَى جِدَّتِهِ

التحذير من أكل الحرام

* وَأَمَّا أَكْلُ الْحَرَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨].

* وَقَالَ ﷺ: «كُلُّ لَحمٍ أَنْبَتَهُ السُّحْتُ وَالْحَرَامُ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»[٢].

* وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَوْ صُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا، وَصَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ، لَمْ يُقْبَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا بِوَرَعٍ حَاجِزٍ.

* وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، وَالْحَرَامُ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا الْفِرَارَ لِلرَّحْمَنِ مِنْ أَكْلِهِ.

* وَأَنْشَدُوا فِي الْمَعْنَى:

أُشَبِّهُ مَنْ يَتُوبُ عَلَى حَرَامٍ ... كَبَيْضٍ فَاسِدٍ تَحْتَ الْحَمَامِ

يَطُولُ عَنَاؤُهُ فِي غَيْرِ شُغْلٍ ... وَآخِرُهُ يَقُومُ بِلَا تَمَامِ

إِذَا كَانَ الْمَقَامُ عَلَى حَرَامٍ ... فَلَا مَعْنَى لِتَطْوِيلِ الْقِيَامِ

* وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: الطَّاعَةُ مَخْزُونَةٌ فِي خَزَائِنِ اللهِ

---

(١) البُخَارِيُّ (١٣٨٦، ٢٠٨٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٧١٦٤)، وغيره، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٤٥١٩).

تَعَالَى، وَمِفْتَاحُهَا الدُّعَاء، وَأَسْنَانُهَا أَكْلُ الْحَلالِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمِفْتَاحِ أَسْنَانٌ، فَلَا يُفْتَحُ الْبَابُ، وَإِذَا لَمْ تُفْتَحُ الْخِزَانَةُ كَيْفَ يَتَوَصَّلُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الطَّاعَةِ.

فَصُنْ لُقْمَتَكَ، وَأَطِبْ طُعْمَتَكَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ مُبْيَضُّ صَالِحِ الْعَمَلِ مِنْ مُسْوَدِّ خَيْطِ الْأَمَلِ مِنْ فَجْرِ الْأَجَلِ، ثُمَّ أَتِمَّ صِيَامَ الْجَوَارِحِ عَنْ حَرَامِ طَعَامِ الْآثَامِ إِلَى لَيْلِ الْقِيَامِ فَتُفْطِرَ عَلَى فَوَائِدَ مَوَائِدَ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾. [الحاقة: ٢٤].

وَمَنْ لَمْ يَجْتَنِبِ الْحَرَامَ مِنَ الطَّعَامِ، أَفْطَرَ بَعْدَ طُولِ الصِّيَامِ عَلَى مَرَارَةِ حَرَارَةِ ثَمَرَةِ الزَّقُّومِ، فِيَا لَهُ مِنْ طَعَامٍ، مَا أَعْظَمَ ضَرَرَهُ! يُفَتِّتُ الْفُؤَادَ، وَيُقَطِّعُ الْأَكْبَادَ، وَيُمَزِّقُ الْأَجْسَادَ، وَيُورِثُ الْأَنْكَادَ فِي الْمِيعَادِ.

* وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: كُنْتُ أَقْرَأُ الْآيَةَ فَيُفْتَحُ لِي فِيهَا سَبْعُونَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ، فَلَمَّا أَكَلْتُ مَالَ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، صِرْتُ أَقْرَأُ الْآيَةَ فَلَمْ يُفْتَحْ لِي فِيهَا بَابٌ وَاحِدٌ.

* فَالْحَرَامُ مِنَ الْقُوتِ نَارٌ تُذِيبُ شَحْمَةَ الْفِكْرِ، وتُذْهِبُ لَذَّةَ حَلَاوَةِ الذِّكْرِ، وَتَحْرِقُ ثِيَابَ إِخْلَاصِ النِّيَّاتِ، وَمِنَ الْحَرَامِ يَتَوَلَّدُ عَمَى الْبَصِيرَةِ وَظَلَامُ السَّرِيرَةِ.

فَاكْتَسِبْ مَالًا حَلَالًا، وَأَنْفِقْهُ فِي قَصْدٍ، وَاجْتَنِبِ الْحَرَامَ وَأَهْلَهُ، وَلَا تُجَالِسْهُمْ، وَلَا تَأْكُلْ طَعَامَهُمْ، وَلَا تَصْحَبْ مَنْ كَسْبُهُ مِنَ الْحَرَامِ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي وَرَعِكَ، وَلَا تَدُلَّنَّ أَحَدًا عَلَى الْحَرَامِ فَيَأْكُلَهُ هُوَ وَتَحَاسَبَ أَنْتَ عَلَيْهِ، وَلَا تُعِنْهُ أَيْضًا عَلَى طَلَبِهِ، فَإِنَّ الْمُعِينَ شَرِيكٌ.

التحذير من أكل مال اليتيم

* **وَأَمَّا أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ** فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا مَا نَطَقَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ حَيْثُ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

التحذير من الخيانة في الميزان

* **وَأَمَّا الْخِيَانَةُ فِي الْوَزْنِ وَالْكَيْلِ**، فَاجْتَنِبْ ذَلِكَ يَا أَخِي مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالى قَدْ أَمَرَكَ بِالْعَهْدِ فِيهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١-٣].

* وَإِيَّاكَ يَا أَخِي أَنْ تَغْتَبِطَ بِشَيْءٍ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ لَا تَكُونُ مَعَ الْخِيَانَةِ، وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ الْحَرَامِ يُتْلِفُ كَثِيرًا مِنَ الْحَلَالِ.

وَإِيَّاكَ يَا أَخِي، إِنْ خُنْتَ دِرْهمًا، خَانَكَ إِبْلِيسُ فِي سَبْعِينَ دِرْهمًا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1].

قصص لبعض الغشاشين

* وَقَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ لِزِيَارَةِ جَارٍ لِي كَانَ يَبِيعُ الْحِنْطَةَ، فَلَمَّا قَعَدْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: جَبَلَانِ مِنْ نَارٍ، فَسَأَلْتُ زَوْجَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّه كَانَ لَهُ مُدَّانِ (أَيْ: مِكْيَالَانِ يَكِيلُ بِهِمَا): أَحَدُهُمَا كَبِيرٌ وَالْآخَرُ صَغِيرٌ، فَإِذَا ابْتَاعَ (أَيْ: اشْتَرَى) مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا اكْتَالَ بالمُدِّ الْكَبِيرِ، وَإِذَا بَاعَ هُوَ لِأَحَدٍ شَيْئًا، كَالَ لَهُ بالمُدِّ الصَّغِيرِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ المُدَّيْنِ هُمَا اللَّذَانِ تَصَوَّرَا لَهُ جَبَلَيْنِ مِنْ نَارٍ.

* قِيلَ: وَكَانَ رَجُلٌ بِالْبَادِيَةِ لَبَّانٌ يَخْلِطُ اللَّبَنَ بِالْمَاءِ، فَجَاءَ السَّيْلُ، فَذَهَبَ بِالْغَنَمِ، فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: اجْتَمَعَتْ تِلْكَ القَطَرَاتُ، فَصَارَتْ سَيْلًا، وَلِسَانُ الْجَزَاءِ يُنَادِيهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ [الحج: ١٠].

---

(١) الْبُخَارِيُّ (٣٣، وَمَوَاضِعَ)، وَمُسْلِمٌ (٥٩) بِلَفْظِ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ....»، وزِيَادَة: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ» عِنْدَ مُسْلِمٍ فَقَطْ.

* وَاعْلَمْ أَنَّ **السَّرِقَةَ وَالْخِيَانَةَ** أَمْرَانِ مُهْلِكَانِ ضَارَّانِ بِالْدِّيْنِ.

* وَفِي الْمُنَاجَاةِ: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: سِتَّةٌ فِي نَارِي وَغَضَبِي، فَأَوَّلُهُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ خُلُقُهُ، وَغَنِيٌّ سَارِقٌ، وَعَالِمٌ فَاسِقٌ، وَمَنْ أَتَانِي عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ، وَمَنْ لَقِيَنِي بِدَمِ مُؤْمِنٍ مُتَعَمِّدًا، وَمَنْ مَنَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَأَكَلَهُ غَصْبًا.

* وَقَالَ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(١).

التحذير من الحلف الكاذب

* **وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِمَقْتِ اللهِ تَعَالَى بِكَثْرَةِ الْأَيْمَانِ**، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

* وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، وَرِجْلَاهُ قَدْ خَرَقَتِ الْأَرْضَ السُّفْلَى، وَعُنُقُهُ مَثْنِيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي، مَا أَعْظَمَكَ! فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»(٢).

الخصال المذمومة لشارب الخمر

* **وَأَمَّا شُرْبُ الْخَمْرِ**، فَإِنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي شُرْبِهَا عِدَّةَ خِصَالٍ مَذْمُومَةٍ:

أَوَّلُهَا: أَنَّهَا تُذْهِبُ عَقْلَ شَارِبِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَضْحَكَةً لِلْصِّبْيَانِ، وَمَهْزَأَةً كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ سَكْرَانَ يَبُولُ وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِبَوْلِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ!.

---

(١) مُسْلِمٌ (٢٨٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٧٣٢٤)، وَالْحَاكِمُ (٧٨١٣)، وَغَيْرُهُمَا، بِلَفْظِ: «إِنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُنْثَنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا ، قَالَ: «فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (١٥٠).

وَرَأَى سَكْرَانَ قَدْ تَقَيَّأَ وَالْكَلْبُ يَلْحَسُ فَاهُ، وَالسَّكْرَانُ يَقُولُ: أَكْرَمَكَ اللهُ يَا سَيِّدِي كَرَامَةَ أَوْلِيَائِهِ!.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهَا تُتْلِفُ الْمَالَ وَتُفْسِدُهُ، وَتُعْقِبُ الْفَقْرَ، كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ أَرِنَا فِي الْخَمْرِ فَإِنَّهَا مُتْلِفَةٌ لِلْمَالِ مُذْهِبَةٌ لِلْعَقْلِ[1].

وَالثَّالِثَةُ: أَنَّهَا تُوقِعُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]. وَيُرِيدُ: انْتَهُوا عَنْهُمَا. قَالَ عُمَرُ: انْتَهَيْتُ يَا رَبِّ، انْتَهَيْتُ[2].

وَالرَّابِعَةُ: أَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ: تُوقِعُهُ فِي جَمِيعِ الْمَعَاصِي، كَمَا رُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا شُرْبَ الْخَمْرِ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ.

وَالْخَامِسَةُ: أَنَّهَا تُؤْذِي حَفَظَتَهُ بِإِدْخَالِهَا فِي مَجْلِسِ الْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ وَالرَّوَائِحِ الْكَرِيهَةِ.

وَالسَّادِسَةُ: أَنَّهُ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَبِدِينِهِ، فَيُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُنْزَعَ مِنْهُ الْإِيمَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ.

---

(١) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٧٠) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٠٤٩)، وَغَيْرُهُمَا، بِلَفْظِ: «لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] الْآيَةَ، قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ يُنَادِي: «أَلَا لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانُ»، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]، قَالَ عُمَرُ: انْتَهَيْنَا»، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترمذي» (٣٢٥٥).

(٢) انْظُرْ التَّخْرِيجَ السَّابِقَ.

كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ يُقَالُ لَهُ: قُلْ لَا إِلَهُ إِلَّا اللهُ، فَكَانَ يَقُولُ: اشْرَبْ وَاسْقِنِي (أَيْ: الْخَمْرَ).

فَهَذِهِ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا عُقُوبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهَا لَا تُحْصَى مِنْ شُرْبِ الْحَمِيمِ، وَالزَّقُّومِ، وَعُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ. أَعَاذَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهُ.

عقوبة تارك الصلاة

* **وَأَمَّا مَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِتَارِكِ الصَّلَاةِ عَلَى صِحَّةِ الْبَدَنِ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ»[1]. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾. [الماعون: ٤-٥]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩]. وَغَيًّا: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا تَارِكُ الصَّلَاةِ.

* قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ، قُبِلَ سَائِرُ عَمَلِهِ.

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ «تَهْذِيبُ بَحْرِ الدُّمُوعِ»

٢٨ جُمَادَى الْآخِرَة ١٤٤٧ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) مُسْلِمٌ (٨٢)، بِلَفْظِ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ».

الفهرس